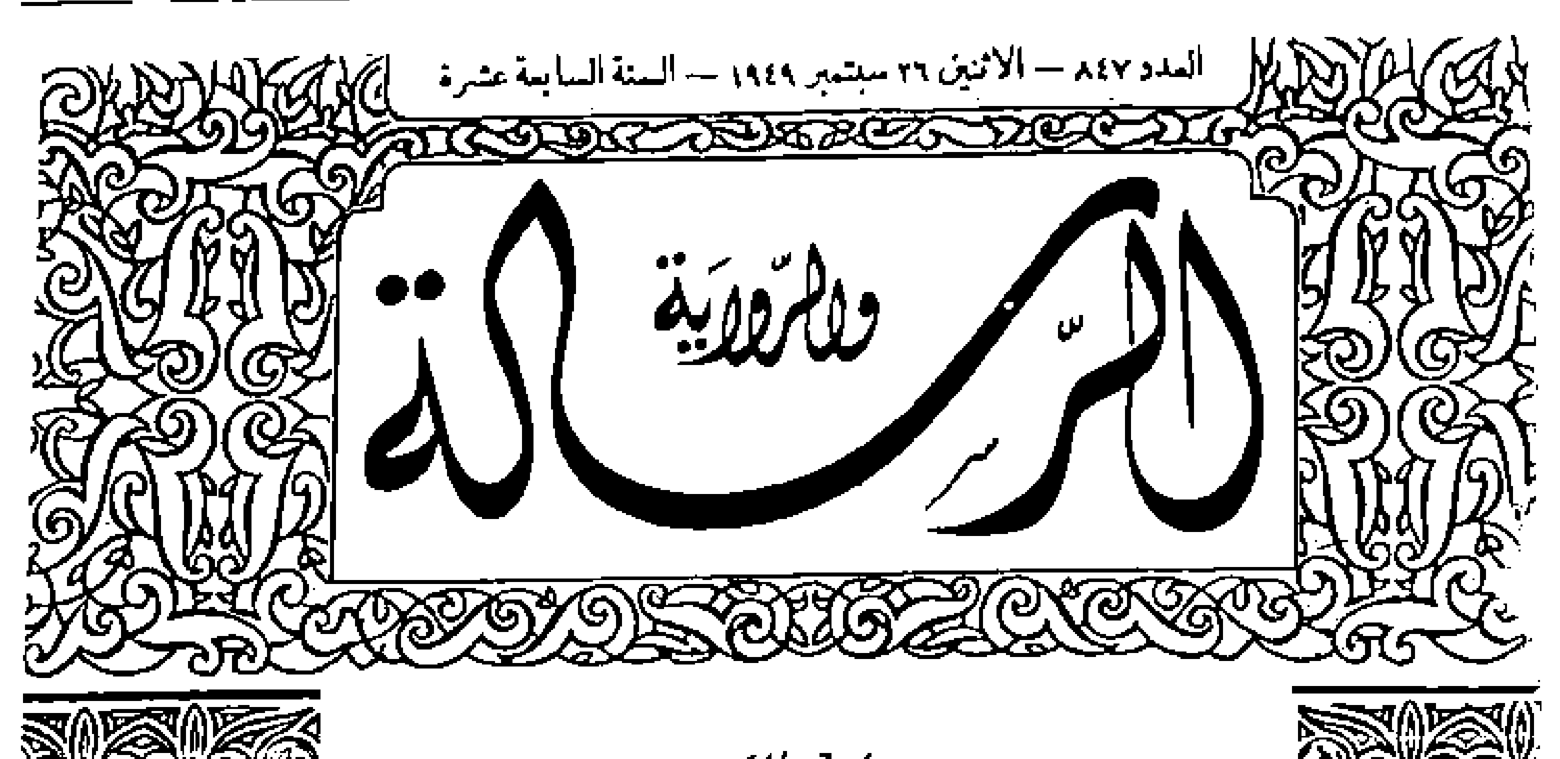
العدد ٨٤٧ — الاثنين ٢٦ سبتمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة



فهرس العدد

٢٣ - ٢٥

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



17 ème Année No. 847 — Lundi — 26 — 9 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول أحمد حسن الزيات

الإدارة: دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة: ١٠٠ في مصر والسودان، ١٥٠ في سائر الممالك الأخرى. ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٤٧ «القاهرة في يوم الاثنين ٤ ذو الحجة سنة ١٣٦٨ — ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٤٩» السنة السابعة عشرة

مشكلة واحدة وعلاج واحد!

يقولون إن مشكلاتنا الاجتماعية ثلاث: هي الفقر والجهل والمرض — وأقول إنها مشكلة واحدة: هي الفقر وحده دون سواه! ولا أريد بهذا القول أن أنفي وجود المشكلتين الأخريين، ولكنني أردهما إلى المشكلة الأولى حين نلتمس موضع العلة الرئيسية، ونضع أيدينا على موطن الداء الأصيل، ونبحث عن الحل الموفق والعلاج الناجع. ونستطيع في حساب المنطق السليم أن نبرهن على صحة هذه القضية حين نقول إن الفقر يدفع بأصحابه إلى مهاوي المرض وظلمات الجهل، ولا يستقيم لك هذا المنطق إذا قلت إن الجهل وحده أو المرض وحده يقود أصحابه إلى حومة الفقر التي لا حيلة لهم فيه!

على هذا الأساس يجب أن ننظر إلى المشكلة؛ المشكلة التي تمس السواد الأعظم من هذا الشعب ممثلا في طبقات الكادحين من العمال والفلاحين؛ فهنا الفاقة التي تحول بين الفرد وبين نور العلم، وتحول بينه وبين نسمة العافية — وماذا يفعل الفقير إذا أراد أن يتعلم وهو موزع الفكر بين مشكلتي الغذاء والكساء، وماذا يقدم للجسد المنهك تحت عوادي السقم وهو لا يملك ثمن الدواء!! في هذه التربة الخصيبة ينثر دعاة الشيوعية بذور المبادئ الهدامة ويشيعون دعوة السوء، وفي ساحة الفقر وحدها يركزون جهادهم في الظلام بغية تمهيد الطريق لحملة المشاعل — وفي غمرة الأماني الكاذبة والدعوة الباطلة، يصور الفقر لأصحابه أن المجانين قادة، وأن المستضعفين سادة، وأن الشياطين ملائكة، وأن المشاعل التي وعدوا بها ستحمل إليهم الإشراق كل الإشراق، وما دروا أن فيها الإحراق كل الإحراق!

من العجيب حقا أن يفطن دعاة السوء إلى موطن الداء الأصيل في مصر، ولا يفطن إليه المسئولون ممن يقذفهم الأمس جريا وراء التعلق بالزوائد غافلين عن الجوهر المكين، جوهر الفقر الذي يصب مياهه الملوثة بجراثيم الجهل والمرض في أودية النفوس والعقول ... ويقولون تبا لك إن مشكلاتنا الاجتماعية ثلاث، ولا بأس أبدا من أن نبحث لكل مشكلة عما يلائمها من علاج. وتمضي الأيام والفقر هو الفقر، والجهل هو الجهل، والمرض هو المرض. لماذا؟ لأن الخطوة الواحدة قد أريد لها أن تكون خطوات، ولأن الجهد الواحد قد قدر له أن يصير إلى جهود ... وهكذا تشتت القوى في شتى الميادين بدلا من أن تركز في ميدان واحد، ولا ضير من أن نظفر ببعض النتائج في عدد من السنين قد يستحيل إلى عدد من القرون! ومن العجيب أيضا أننا لا نزال نأخذ بسياسة الارتجال في سبيل القضاء على المشكلة الخالدة؛ ومن هذا الارتجال أننا نحاول مكافحة الفقر والمرض والجهل عن

الاســـــتقلال فى الأدب

للأســـــتاذ راجى الراعى

الأدب قديم يعود إلى ذلك اليـوم البعيد الذى بدأ الدماغ ينسج فيـه خيوطه الأولى وله دولته ذات الميا كل والأبراج والعروش وهى أعظم الدول وأضخمها وأجلها وأبعدها مدى وأغناها.

الأدب عظيم له كلته الفيحاء الفينانة الخلابة الشاملة أتناولها فيعرض أمامى الأدب القديم مواكبه ويأتى أمراؤه الذين ضخماتهم وأطلنا قاماتهم خلال القرون يتربعون فى ساحتى قائلين :

نحن أرباب الأدب ودعائمه وأساطينه كتبنا الآيات الرائعات واحتللنا فى قصور التاريخ أفخم القاعات وغردنا فى جنان الأدب على كل غصن فيـه فلم نبق غصناً لطائر وعتنا حوماتنا فى جميع آفاق الفن واسـتقطرنا النجوم نجمة نجمة فلم نترك لنيرنا أفقاً ونجمة فى كأسها خمرة وحى وإلهام فما أنت كاتب بعدنا ؟ ماهذا الجنون فيك تأتى بالمواد وقد استنفدنا معادها وتكتب المقال وترسـل الآية وتؤلف الـكتاب ونحن أمامك لم نبق لك جديداً ، أنسيت أن العالم قديم وأن الذين فـكروا وأحسوا قبل أن ولدت جيوش لو عرضت كلها أمام عينيك لسحقتك أبعاد القلم وأعماك غبار المباقرة عما أنت فيه ، لقد عصروا رأس الأدب وقلبه ولم يدعوا لك قطرة .

نحن هنا أيها الدعى المغرور ولم نمت بعد وهذه أصواتنا المدوية فى الدهور فقل ، قل أنك تردد أصداءها .

أجل ، أجل ... ان لـكم ذهبكم الذى يبرق فى الأدب للقديم ولـكن ليس كل ما أخرجتموه للناس ذهباً ففى جـواره نحاس كثير ، ولكم نفائسكم ولـكن ليس ما عرضتموه فى المتاحف كل ما يمكن أن يعرض فيها ، وأنتم أغنياء فى الأدب ولـكنكم لم تحتكروا الثروة الأدبية فهناك دنانير لم تضرب فى أيامكم وأسواق للأدب تعرض فيها بضاعة لم تعرفوا عربها -- أجل ، لقد عصرتم رأس الأدب وقلبه وأسكرتم الناس ولـكن خمرة الروح لم تفرغ دنانها فهى دنان الزمان الذى لا تفرغ كأسـه -- أنت يا « هيجو » نسر فى الخيـال عظيم ولكنك لم تحتل الآفاق كلها ولم تقو على إخضاع أثير الشعر لشيئتك فلا يحمل غير روحك ولا يطرب لغير صوتك -- وأنت يا شكسبير لست الفن كله -- وأنت يا « روسو » لست رب الفكر -- وأنت يا من نظر الأعمى إلى أدبك لست وحدك الذى ينظر إلى أدبه العميان -- أنتم زورقكم القديمة موجات فى بحر الأدب والفن والخيال الذى لا ساحل له ، وفى وسعى أن آتيكم اليوم وغداً وبعد غد وأنا أصف هذه الشمس فى شروقها وغروبها بصورة جـديدة لم تخطر لكم . وأن ألبس ما أراه وأسمعه ثوباً جديداً ليس فيه خيط واحد من خيوطكم .

ان الوجوه التى أراها والأصوات التى أسمعها هى غير وجوهكم وأصواتكم ، والأدب ليس وقفاً على جيـل من الناس وإنما هو ميراث للانسانية لـكل أديب مفكر موهوب قطيعه فيـه -- أنتم فى الأدب بشر ونحن الذين ألهناكم وأقمنا لـكم الهياكل وجعلنا الـكلمة لا صدى لها إلا إذا خرجت من أفواهكم .

نحن الذين خلقنا لـكم وجوهاً لم يعرفها لكم معاصروكم ، لقد أقمناكم هنا تتعاقب الأجيال فى لجة القدم تنام الخيال ينسج نسيجه ويلبسكم الأثواب الفضفاضة التى خاطتها الأساطير والأوهام -- أنتم أسياد فى الأدب ولـكننا لا نعترف بكم طغاة مستبدين .

طريق الاستجداء ومنع أوراق اليانصيب ... فمن مشروع البر إلى مشروع الحفاة ، إلى عبرة محمد على ويوم المستشفيات ، إلى آخر تلك الأشياء التى يسخر منها منظر الملايين من المعوزين والجهال والمرضى والحفاة !

لو نظرنا إلى الأمور بمنظار الواقع لعرفنا كيف نسلك الطريق ... هناك مشكلة واحدة وعلاج واحد ، أما المشكلة فهى الفقر وأما العلاج فهو النهضة الصناعية . وبهذه النهضة نقضى على المشكلة الحالية ونمنع من تلقاء نفسها بقية المشكلات . أما السبيل إلى تحقيق هذا الأمل الـكبير فهو أن تستغل الأموال المكدسة فى المصارف كما يعمل الرجل العصامى أحمد عبود فى سبيل تلك النهضة المنشودة ، وعندئذ تنتعش الثروات التى يعيش لها أغنياؤنا وينتعش المجتمع الذى يعيشون فيه !

(أ . م)

منارة الماضي :

على طريق الحملات المصرية في لبنــــان

أيام دولة سلاطين المماليك البحرية

للأســــتاذ أحمد رمزي بك

إن الطريق الموصل بين بعلبك ومدينة طرابلس يعد أجمل طريق معبد في الشرق الأدنى، ويخترق مناطق من أجمل المناطق في جبال لبنان ويمر قريباً من شجر الأرز الذي عاصر القرون الطويلة.

وكلما اتجهت لزيارة هذه الجهة الخالدة واجتزت بلدتي بشرى وأهدن توارت الخواطر تترى عليّ، ومرّت أمامي ذكريات حوادث التاريخ، ففي سنة ٨٨٢ هجرية قام الأشرف قايتباي برحلته المشهورة إلى أقاصي الحدود المصرية في الشمال حيث القلاع الإسلامية في داخل الأراضي التركية الحالية.

كان وصوله إلى بعلبك في يوم السبت ١٩ جمادى الآخرة وغادرها الأحد وقت الظهر متخذاً طريق طرابلس مخترقاً الجبال العالية فأمضى الليـل في عقبة «ليمونة» على ارتفاع ١٩٦٠ مترا من سطح البحر. ويقول كاتب رحلة السلطان إن الطريق إليها كان وعراً وهي وسط الجبال تحيط بها أشجار الكثرى.

ولما اجتاز العقبة اتخذ طريقه إلى الحدث (حدث الجبة) حيث صلى الصبح ومن هـذه إلى كفر قاحل ويسميها صاحب الرحلة قاهر. والطريق إليها يمر بحوالي ٣٦٠ لفته، ثم انحدر السلطان إلى طرابلس فوصلها في مساء الاثنين وأقام بها إلى الخميس ٢٤ جمادى الآخرة سنة ٨٨٢.

وهذه الرحلة تعيد إلى مخيلتي الحملات التي وجهها جند مصر إلى هـذه النواحي فأنا لا أذكر للقارىء ما كتبه البطريرك اسطفانوس الدويهي عن تاريخ سنة ١٢٨٣ نقلا من بعض كتب المسلمين من فتح «جبة بشرى» وحصار «أهدن» كما لا أعرض لما كتبه صالح ابن يحيى في كتابه من تاريخ أمراء الغرب وما جاء

أن للأدب تاجاً يطمح كل أديب موهوب إلى درة فيه، وهذا النير، نير الأدب العتيق يجب أن نتحرر منه فليس في الأدب أنيار وإنما فيه أنهار تتدفق من ينابيع الإلهام الذي ينزله الله على من يشاء في أي وقت شاء.

تلك هي اللغة التي يجب أن يخاطب بها أديب اليوم أديب الأمس، إن ما نطلبه من أديب اليوم هو الجرأة في التفكير والثقة بالقدرة على الإبداع والطموح بالباطنة والخيال إلى آخر نجمة في أقصى الآفاق وغمس القلم في مداد حر ورفع البناء بحجارة جديدة فكم هو جميل أن تبني بناءك وتقول: هذا حجوي، وما الفائدة من القلم وأين جماله وجلاله إذا غمس في دواة قديمة.

لقد اجتازت بنا قوة التفكير والإحساس مراحـل لا تعد واتسعت عيوننا وجباهنا فتكشفت لنا آفاق لا عهد للأمس بها ووعينا ما لم يكتب للأمسين أن يقفوا عليه وغصنا إلى أعماق الوجدان وعرضنا مواكب السماء والأرض موكباً موكباً وجئنا بالكهرباء وما وراء الكهرباء ... أبعد هذا كله نظل أتباعاً لشاعر قديم أو ناثر مفكر موهوب بيننا وبينه ألف جيل.

أن ما نطلبه من أديب اليوم هو الاستقلال في الأدب فلا وصاية ولا انتداب للأدب القديم على الأدب الحديث.

أن الاستقلال هرم له جوانبه الثلاثة فإلى جانب الاستقلال السياسي والاستقلال الاقتصادي يقوم الاستقلال الأدبي الذي لا رقابة فيه ولا قيود.

خلقت الفكرة طليقة شامخة وولد الفن عزيزاً حراً وجمال الفكر والشعور يطلع علينا في كل صباح ومساء بوجه جديد واللا نهاية في الآفاق هي في الأدب أيضـاً فشموسه وكواكبه وسياراته ونجومه تشع في الدهور وما وراءها.

أن هيا كل الأدب أوفر عدداً من النجوم والرمال والأمواج ولكل منا مذبحه الأدبي إذا كان في روحه دم يهرق فلنرفع الرأس في معابد الأدب والخيال أحراراً مستقلين ولننفض يدنا من الخانعين المستعبدين.

راجي الراعي

فيه نقلا عن النويري والصلاح الكتبي في فتوح المصريين لكسروان لأن العبارات الواردة في كتابه صفحة ٢٩ هي بعينها التي أوردها ابن الفرات في كتابه جزء ٨ صفحة ١٤٢ مما يدل على أنهم جميعاً ينقلون عن مصدر واحد حينما يتحدثون عن توجه الأمير بدر الدين « بيدار » قائد السلطنة بمصر ومعه العساكر المصرية وصحبته أمراء الجند بقصد جبال كسروان في شهر شعبان سنة ٦٩١ (١٢٠٢) ميلادية . وإنما أكتفي بالنوبات التي جاءت بعد ذلك وأولها الحملة التي قام بها جمال الدين آقوش الأفرم نائب الشام في عهد الملك الناصر محمد . آقوش هذا ترجم له صاحب الدرر الكامنة فقال عنه « آقش الأفرم الجركسي كان من مماليك المنصور (قلاوون) ذكر عنه أنه التمس من أستاذه ولاية الشام فأجابه السلطان « ما هو في أيامي » وذكر صاحب الدرر نقلاً عن ابن فضل الله العمري : إن الأفرم كان يتردد على فقير مغربي بالقرافة في مصر فقال له الفقير : « ماذا تعطيني إذا صرت يوماً نائب السلطنة بالشام ، فقال الأفرم «ومن أنا حتى تسند إلي نيابة الشام» قال الفقير : لا بد في ذلك وإذا حصل هذا تصدق بألفي درهم عند السيدة نفيسة وبألف عند الإمام الشافعي .

وذكر الأفرم أنه نسي كل هـذا وفي يوم من الأيام وقد عاد هارباً من حروب غازان ملك التتار بعد توجه الأولى وفتحه دمشق وصل القاهرة ، وبينما هو يتجول بالقرافة تذكر قول المغربي فأحضر الدراهم وفرقها في الموضعين . ويقول صاحب الدرر « كان الأفرم فارساً بطلا عاقلا جواداً يحب الصيد وكان خليقاً للملك لما فيه من المهابة والحماية ، وكان خيراً عديم الشر والأذى يكره الظلم ولم يحفظ أنه سفك دم أحد ولا لوجه شرعي ، وكان يباشر أهل العلم كابن الوكيل[1] وكان لأهل دمشق فيه محبة مفرطة ومدحه جماعة من الشعراء » . أما هو فبلغ تلهفه على دمشق وأهلها مبلغاً جعله يقول « لولا القصر الأبيض (الأبلق) والميدان الأخضر ما خليت بيبرس وسلار ينفردان بمملكة مصر » . وهما كانا بدمشق

ولذا أقام بدمشق إحدى عشر عاماً وأنشأ بها[1] جامعه المشهور سنة ٧٠٦ الذي تولى الخطابة فيه قاضي القضاة شمس الدين محمد بن عطاء العز الأوزعي الحنفي .

ويحيى في الأفرم هذا الود لمدينة دمشق وهذه المنزلة التي أوجدها لنفسه هناك حينما تولى نيابة السلطنة عن مصر في ربوع الشام وما تم على أيديه من عظائم الأمور .

ذكر صاحب البداية والنهاية أنه عقب انكسار التتار وأخلائهم لدمشق حدث[2] : في يوم الجمعة ١٧ رجب ٦٩٩ أعيدت الخطبة بدمشق لصاحب مصر . وفي يوم السبت ١٨ رجب ٦٩٩ نودي بأن تزين البلد لقدوم العساكر المصرية وفي يوم الأحد ١٩ رجب ٦٩٩ فتح باب الفرج مضافاً إلى باب النصر . وفي ١٠ شعبان دخل الجيش الشامي وعلى رأسه نائب دمشق الأمير جمال الدين آقوش الأفرم . وفي يوم الجمعة ٢٩ شوال « ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم في جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان وخرج الشيخ تقي الدين بن تيميه ومعه خلق كثير من المطوعة والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية بسبب فساد نيتهم وعقائدهم » .

« ولما وصلوا بلادهم جاء رؤساؤهم إلى الشيخ فاستتابهم » .

وفي يوم الأحد ١٣ ذي القعدة عاد الأفرم من طريق الجبال فتلقاه الناس بالشموع على طريق بعلبك وسط النهار .

وهذه هي النوبة الأولى فلننتقل إلى الثانية : —

وكان خطر التتار جاثماً على الصدور رغم انتصار المصريين في

---

(١) الشيخ الصدر بن الوكيل : — هو العلامة أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام مفتي المسلمين زين الدين عمر بن مكي بن عبد الصمد المعروف بابن الوكيل شيخ الشافعية في زمانه ولد سنة ٦٦٥ وتوفي بالقاهرة ١٤ ذي الحجة ٧١٨ كان منزله بجوار جامع الحاكم ، درس بعدة مدارس بمصر والشام ، كان يتكلم في الحديث والطب والفلسفة وعلم الكلام .

ص ٨٠ جزء ١٤ ابن كثير . النجوم الزاهرة ص ٢٣٣ جزء ٩ والمنهل الصافي وطبقات الشافعية «صاحب كتاب الأشباه والنظائر» وله = في دمياط ودفن في تربة القمر ناظر الجيش بالقرافة .

ومن شعره :

أقصى مناي أن أمر على الحمى ... ويلوح نور رياضه فيفوح
حتى أرى سحب الحمى كيف البكا ... وأرى لم الورقاء كيف تنوح

(١) راجع ثمار المقاصد في ذكر المساجد ص ١٩٣ ، ابن كثير في جزء ١٤ ص ٤٢ . هذا المسجد قائم الآن .

(٢) ابن كثير ص ١٢ جزء ١٤ .

البر والبحر ورغم حروبهم ضد الأرمن في سيس ورغم أنهم فتحوا جزيرة أرواد سنة ٧٠٢ وكان بقلعة دمشق علم الدين «أرجواش» وهو من أقدر قواد مصر فصمد بالقلعة فاقتدت به بقية القلاع الشامية ، ومع كل هذا اشتد الجزع وقنت الخطيب في الصلوات وقرىء البخارى بالمساجد حينما ظهرت طلائع التتار وأخيراً جاءت المركة ، أى وقعة شقحب المشهورة التى وقف فيها الناصر محمد مع خليفه الزمن ، وانتصر فيها جند مصر والشام ، وكان النساء والأطفال على أسطحة المنازل والمآذن يتتبعون صياحهم وقد كشفوا رؤوسهم وارتفعت أصواتهم بالدعاء .

ومرت سنتان على تلك الحوادث فإذا بالأفرم يقوم من دمشق بقيادة حملة إلى الجبال بعد أن استراحت الجيوش الإسلامية واستعادت قوتها .

ذكر المقريزى فى السلوك هذه النوبة على الترتيب الآتى :

سنة ٧٠٤ توجه شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيميه فى ذى الحجة من دمشق ومعه الأمير بهاء الدين قراقوش المنصورى إلى أهل جبل كسروان يدعوهم إلى الطاعة فلم يجيبوا . فجمعت العساكر لقتالهم .

سنة ٧٠٥ سار الأمير جمال الدين آق كوش الأفرم نائب الشام من دمشق فى عساكرها لقتال أهل كسروان ونادى بالمدينة من تأخر من الرجال والأجناد شنق فاجتمع له نحو الخمسين ألف راجل ، وزحف بهم لمهاجمة أهل تلك الجبال ونازلهم وخرب ضياعهم وقطع كرومهم ومزقهم بعد ما قاتلهم أحد عشر يوماً ، قتل فيها الملك الأوحد شادى بن الملك الزاهد داوود وأربعة من الجند ، وملك الجبل عنوة ووضع السيف وأسر ستمائة رجل وغنمت العساكر منهم مالاً عظيما وعاد إلى دمشق فى أربع عشر صفر» ٧

* * *

وفى المقريزى : أن السلطان أقطع فى جمادى الآخر جبال كسروان بعد فتحها للأمير علاء الدين ابن معبد البعلبكى وسيف الدين بكتمر عتيق بكتاش الفخرى(1) ، وحسام الدين لاجين ، وعز الدين خطاب العراق ، فركبوا بالشربوش وخرجوا إليها فزرعوا لهم الجبلية ورفعت أيدى الرفضة عنها .

وسنعود بعد قليل إلى هذا الاقطاع بالذات لأهميته .

ويظهر جلياً أن أهل الجبال كانوا السبب المباشر لشن الغارة على أراضيهم فقد ذكر صالح بن يحى : فى تاريخ بيروت ما يأتى عن النوبة الثانية نقلا عن النويرى :

« كان أهل كسروان قد كثروا وطغوا واشتدت شوكتهم وامتدوا فى أذى العسكر عند انهزامه من التترسنة ٦٩٩ (١٣٠٠ ميلادية) وتراخى الأمر عنهم وتمادى وحصل إغفال أمرهم فزاد طغيانهم وأظهروا الخروج عن الطاعة وامتزلوا بمعالم النية وجموعهم الكثيرة وأنه لا يمكن الوصول إليهم » .

وهكذا يتضح أن الفوضى عمت جبال كسروان وأن الاعتداء حصل على الجيش عند تراجعه من حملة التتار الأولى قبل موقعة شقحب ، وفى ذلك يقول أبو الفداء وهو معاصر أنه على أثر حملة الأمير أقوش الأفرم ٧٠٥ طهرت تلك الجبال الشاهقة بين دمشق وطرابلس ، وأمنت الطرق بعد ذلك ، وهنا يفسر اجتياز هذه الطرق بالقات بواسطة السلطان قايتباى بعد قرنين تقريباً من الزمن حينما اشتدت الحوادث بين مصر من جهة ودولة حسن الأكبر « اوزون حسن » ثم مع بنى عثمان من بعده وذلك للتأكد من أمن الطرق إذا قدر للجيوش المصرية أن تتراجع فلا يهاجم من الخلف .

ويستمر صالح بن يحيى يحدثنا فيقول :

فى ذى الحجة ٧٠٤ جهز إليهم (أى أهل كسروان) جمال الدين آقوش الأفرم نائب الشام زين الدين عدنان ثم توجه بعده تقى الدين (ابن تيميه) وقراقوش وتحدثا معهم فى الرجوع إلى الطاعة فما أجابوا إلى ذلك فعند ذلك رسم بتجريد العساكر إليهم من كل جهة وكل مملكة من الممالك الشامية » .

وهذه العبارة نقلها البطريرك اسطفانوس الدويهى فى كتابه وأخذها منه المطران الدبس فى كتابه مشيراً إلى أن الأفرم أمر الجبليين أن يصلحوا شؤونهم مع التوخيين (أى أمراء الغرب فى لبنان حلفاء المصريين) وأن يدخلوا فى طاعتهم فلم يحصل اتفاق

(1) لما قتل الملك المنصور لاجين أجمعوا على سلطنه الفخرى فامتنع وأشار بعودة الملك الناصر محمد بن قلاوون ص ٢٤٤ النجوم الزاهرة

فانق الظماء حينئذ بنهب بلادهم لاستمرارهم على العصيان ولذلك جردت العساكر من جميع بلاد الشام ولم تزل الجموع تزداد من كل ناحية .

وفى كتاب صالح بن يحيى: أن أقوش الأفرم توجه من دمشق بسائر الجيوش فى يوم الاثنين ٢ المحرم سنة ٧٠٥ (وهو ما جاء فى ابن كثير ص ٣٥) وجمع جمعاً كثيراً من الرجال نحو ٥٠ ألفاً وتوجهوا إلى جبال الكسروانيين ، وتوجه سيف الدين أسندمر نائب طرابلس ، وشمس الدين سنقرجاه المنصورى نائب صفد ، وطلع أسندمر المذكور من جهة طرابلس ، وكان قد نسب إلى مباطنتهم لجرد العزم واراد بجهاده فى هذا الأمر أن ينفى عنه هذه الشناعة التى وقعت به ، فطلع إلى جبل كسروان من أصعب مسالكه واجتمعت عليهم العساكر واحتوت على جبالهم ووطئت أرضاً لم يكن أهلها يظنون أن أحداً يطأها ، وقطعت كرومهم وأخربت بيوتهم وقتل منهم خلق كثير وتفرقوا فى البلاد واستخدم أسندمر جماعة منهم فى طرابلس بجامكيته وخزائنه من الأموال الديوانية فأقاموا على ذلك سنين . وأقطع بعضهم (أخبازاً)[1] من حلقة طرابلس واختفى بعضهم فى البلاد واضمحل أمرهم وخمل ذكرهم »

وينقل المطران يوسف الدبس رئيس أساقفة بيروت المارونى عن ابن الحريرى وابن سباط « أنه فى يوم الاثنين ثانى محرم سار آقوش الأفرم نائب دمشق بخمسين ألفاً بين فارس وراجل إلى جبل الجرد وكسروان التى جبال بيروت . فجمع الدروز رجال الجرد وكانوا عشرة أمراء بعشرة آلاف مقاتل والتقت الجموع عند عين صوفر وجرى بينهم قتال شديد وكانت الدائرة على الأمراء فهربوا بحريمهم وأموالهم وأولادهم ونحو ٣٠٠ نفس واحتموا فى غار غربى كسروان يعرف بمغارة نيبية فوق أنطلياس بالقرب من مغارة البلانة فدافعوا عن أنفسهم ولم يقدر الجيش أن ينال منهم ثم بذلوا لهم الأمان فلم يخرجوا فأمر نائب الشام أن يبنوا على الغار سداً من الحجر والكلس وهالوا عليه تلاً من التراب وجعلوا الأمير قطلوبك حارساً عليهم مدة أربعين يوماً حتى هلكوا داخل الغار .

وفى أسباب هذه النوبة يقول صاحب كتاب أخبار الأعيان فى تاريخ جبل لبنان أن أهل كسروان والجبال قتلوا أميرين من التنوخيين حين تعرضوا للعساكر الإسلامية فى واقعة جبيل .

وأن نائب الشام آقوش الأفرم أراد حقن الدماء وبعث الشريف زين الدين بن عدنان للتوسط فى الصلح بين الأمراء التنوخيين وخصومهم فلم يقبل هؤلاء » .

هذه صفحة أولى لتلك الحلات وسترى كيف أثرت فى تاريخ لبنان وعلاقات أمرائه مع مصر الإسلامية التى خاضت أشد الحروب هولا وكتبت أعظم ملاحم التاريخ .

(يتبع) **أحمد رمزى**

(١) جاء فى ص ٣٢ تحقيق الأب لويس شيخو أخبار وصحته ما يذكر (أخبازاً) .

صور من الحياة :

ربة الشاطئ ...

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا ويح قلب ينبض بالحب والهوى ويخفق بالصبا والغرام على حين قد جاوز سن الطيش وطوى أيام العبث ! ولكن ماذا عسى أن يضير المرء إن هو نفض عن نفسه أغلالها ساعة من الزمان ليستمتع برواء الحياة ورونق العمر ، هناك على سيف البحر ، حيث تضطرب الدنيا بالجمال والمرح وتموج الأرض بالشباب والحركة ؟

لشد ما راع صاحبي أن أستمرئ الوحدة وأستعذب الخلوة فأقضي صدر يوم وحيداً في ناحية من الشاطئ ، أستروح نسمات البحر في شغف ولذة ، وأنتشي عبير الحياة في هدوء بعيداً عن نزوات الشاطئ وسباذله ، وأنطوي على نفسي أحدثها حديث عقل حيناً وحديث قلبي حيناً آخر ، ثم أوفق خواطري بين أعطاف كتاب اخترته رفيقاً لي . ولشد ما آذاه أن ألصق في مكاني لا أريم إلا حين تدعوني حاجات الدار أو رغبات الابن أو شهوة البطن .

وإنه لنزاع إلى اللذة وصاحبي فتى عذب تتدفق الحياة في قلبه مرحاً وسعادة ، وتتألق الدنيا في ناظريه حبوراً ودعة ، تجذبه الفكاهة ويستخفه الطرب ، لا تشغله الزوجة ولا يرهقه الولد ولا تثقله الدار .

وعجب صاحبي أن أفزع من حر القاهرة لأتخذ خلوة على الشاطئ ، فأراد أن يستشف ما وراء ... وحاول — هيهات وهيهات — أن يكشف من سر صاحبه — أنا — وإنه ليرى فيه شغل البال وقلق الضمير ، فما كان ليظفر مني إلا بنظرة خاطفة أو كلمة عابرة ثم يضيق بي فينطلق من لدني ليتسكع على الشاطئ أو ليسبح في البحر أو ليملأ ناظريه من جمال الأجسام العارية الملقاة على الرمال .

ولكن صاحبي كان ضيق الصدر قليل الصبر فأصر على أن ينفذ إلى سر نفسي — كزعمه — في لباقة ومكر ، فجلس إليّ يحدثني قائلاً : هلا حدثتني عن بعض ما يفدحك ؟ » قلت « يفدحني ؟ يفدحني أنا ! ماذا بك ؟ » قال « لعلك جئت إلى هنا تريد أن تدفن همومك في رمال الشاطئ أو تطمع في أن تغرقها في لجة اليم ! فقلت له مقاطعاً « على رسلك ! يا صاحبي » ولكنه استمر في حديثه لا يعبأ : فلما أعجزك أن تفعل جلست في ناحية تبدئ فيها ثم تعيد فعميت عن أن ترى هنا غير خواطرك السود ونغم الشاطئ والبحر معاً وتسدل بينك وبين الحياة ستراً ثقيلاً » قلت « ها ... ها ! وي كأن حاجة في نفسك دفعتك إلى أن توهمني بأن أعباء تثقلني لتباع غاية في نفسك ! » قال « فما بالي أراك ساكناً في هموم تنضم على خطرات قلبك وتنطوي على دفعات نفسك تغضي الطرف عن الدنيا في قناعة وتنكبت القلب عن المتعة في زهد ومن حواليك بسمات الشاطئ تتكشف عن نشوة ولذة » قلت « وماذا عساي أن أفعل وأنا من ترى ؟ ثم أشرت إلى شعرات بيض تلمع في فودي . فقال « أرى ؟ أرى ؟ » ثم جذبني وهو يضحك في سخرية ويقول « أراك شاب القلب واليد واللسان ! »

وألقيت السلم إلى صاحبي وفي رأيي أنني أهرب من سجنين ... من المظلة والكتاب ، وخيل إليّ أن المظلة هي سجن جسمي وأن الكتاب هو سجن عقلي ، فانطلقت إلى جانبه .

واندفع صاحبي ينشر أمامي تاريخ قلبه منذ أن فزعنا من لظى القاهرة إلى ربيع الإسكندرية ، ومنذ أن انطلق هو على سنته تدفعه حرية الشباب والعزوبة ، وجلست أنا تحت المظلة تقيدني أغلال الرجولة والأسرة . وقال فيما قال ... : ورأيت هنا ربة الشاطئ ، وهي فتاة أشربت روح الخمر ، في جسمها نشوة ، وفي عطرها سكر ، وفي نظراتها سحر ، هي زهرة الشاطئ اليانعة وجماله الخلاب وروحه الرقاقة ، وهي ... » قلت مقاطعاً « كفى ! لقد أصبحت شاعراً وعهدي بك بليد اللسان بليد العاطفة . ولا عجب ، فالشاطئ الآن — في ناظريك — بلا ألف ربة » قال « لا تعجب فسأريكها .

وأقبلت ربة الشاطئ تتهادى في رقة وتخطر في دلال فتعلق بها بصري ما يطرف ، ورأيت فتاة تشع جمالاً يعصف بالقلب ويعبث بالفؤاد ، وهي تسير الهوينى في تبان أنيق حاكته يد صناع فبدت عليه سمات الذوق السليم والفن السامي ، وإنه ليكشف من فتنة يقظى ويواري فتنة نائمة ، وإن نسمات البحر الهادئة تداعب شعرها الذهبي المرسل فيضطرب على كتفيها ويداري صفحة خدها الأسيل حيناً ويكشف عنها حيناً فتتراءى الروعة والبهاء

من خلاله . ورأيت في نظراتها عزوفاً عن التطلع وفي مشيتها كبرياء الأنفة وفي حركاتها امتهاناً للنظرات النهمة وفي أذنيها وقراً من كلمات الإعجاب والملق ، كأنها تعيش في عالمها هي ... عالم الجمال والسحر والفتنة ، عالم السمو الترفع والصلف . ومرت بي فأحسست بقلبي يضطرب بين ضلوعي في شدة وعنف ويتشبث بها في إصرار وعناد فوهي ما اشتد من عزمي وتحطم ما تماسك من قوتي ، وحاولت عبثاً أن أصرف عنها خواطري لأن قلبي كان قد علقها على حين غفلة مني . ورأيتني أندفع خلفها ، بالرغم مني ، وأنا أجر صاحبي خشية يبتلعها الجمع الزاخر على سيف البحر .

وانتحت ربة الشاطئ مكاناً قصياً في منأى عن أمواج البشرية المتلاطمة على سيف البحر عسى أن تسكن ساعة إلى نفسها . وهناك ، نزلت إلى البحر ثم اندفعت بين طيات الماء تصارع الموج في عزيمة لا تخشى نصباً ولا رهباً .

وفي صباح اليوم التالي شهد الشاطئ أمراً عجباً ، شهد هذا الرجل الذي ظل أياماً طوالاً يعيش في ثنايا فلسفته ، ينطوي على نفسه ويسكن إلى كتابه وحيداً تحت مظلة لا عل الوحدة ولا يأنس إلى رفيق ... شهده — لأول مرة — يذرع الشاطئ في تيهانه وزهوه ونظراته زائغة ما تستقر وعقله قلق ما يهدأ وفؤاده مضطرب ما يسكن .

وحين اندفعت ربة الشاطئ إلى البحر — كدأبها — اندفعت أنا من ورائها أغالب الموج وأنا أحس بفورة الشباب تتدفق في عروقي وتدفعني — في حرارة — إلى غاية . وشعرت الفتاة بي وأنا أثأرها في خفة وصمت فنظرت فارتاعت — بادئ ذي بدء — ولكن حديثي بعث في نفسها الرضا والطمأنينة ، فانطلقنا معاً جنباً إلى جنب لا أستشعر الكلال ولا أحس التعب

وعدنا إلى الشاطئ صديقين جمعتنا أمواج البحر على الصفاء ساعة فيها لذة القلب وسعادة العمر ، عدنا لنتلاقى — بين الحين والحين — على ميعاد .

وأحسست بالسعادة تتسرب إلى قلبي وبالهدوء يتدفق في فؤادي وبالنشاط يتألق في عروقي وبالشباب يغمر روحي ، وانطوت أيام ...

لك الله يا صاحبي ! لقد جذبتني من خلوتي لأكون صديق روحاتك ورفيق غدواتك ، ففقدت في الصاحب والرفيق حين دفعتني إلى الفتاة التي سحرتك .. إلى ربة الشاطئ .

وعز على صاحبي أن تستأثر الدار بفقدي ، وهو من ذوي قرابتي الأدنين ، وأن يحس هو معنى الإهمال وإنه لذو دالة علي ، فجاء يشكو إلى نفسي . وأنصت إلى حديثه بأذني وقلبي هناك . هناك عند الفتاة التي صرفتني عن الزوجة والابن والدار جميعاً .

وبدا لعينيه أن الفتاة قد سيطرت على مشاعري فغدوت مسلوب العقل مختلب اللب لا أجد النور إلا من خلال نظراتها الساحرة ولا ألمس السعادة إلا في نبرات صوتها الموسيقي ولا أحس الدفء إلا إلى جانبها ، فأراد أن يبلغ غايته من بين خفقات قلبي ، فقال : « لقد شغلت — منذ حين — عني وأنا أطمع أن أظفر ببعض وقتك لأصحبك في نزهة جميلة » قلت في جفوة « أي نزهة تريد ؟ » قال « نقضي معاً سهرة الليلة في كازينو كذا » قلت « ولكنني أمقت السهر لأنه عناء ينفث العلة في الجسم وينثر الضعف في الشباب ويلد الخبل في العقل » قال « إنك ولا ريب تحتال لتضن علي ببعض فراغك ، وأنا منك من تعلم » ثم نظر إلي نظرة فيها الرجاء والاستعطاف رق لها قلبي فما استطعت أن أرفض طلبته .

وهناك في الكازينو تعلق جو المرح وسيطرت على روح البهجة فرحت أنا وصاحبي نعبث في هدوء ونسخر في أدب ونضحك في رقة . وعلى حين فجأة قال لي صاحبي وهو يشير إلى المسرح « انظر ، ما أجمل هذه الراقصة ! » ونظرت ... نظرت فإذا الراقصة هي فتاتي ... هي ربة الشاطئ .

وأصابتني الدهشة والذهول لما رأيت . إنها راقصة من بنات الهوى تنفث السم في قلوب الناس لتسرق الرجل من رجولته وماله وتستلب الزوج من زوجته وأولاده . إنها عون الشيطان يريد أن يهدم الدار ويشتت شمل الأسرة .

وهدني الحزن لما رأيتها — بعد حين — تتنقل بين موائد الشباب والشيوخ على السواء كذبابة خضراء بها نهم فهي تسقط فلا تسقط إلا على القذر والنتن . وأوشك الأسى أن يعصف بي لولا صبابة من رجولة ما تبرح تتأجج بين ضلوعي .

وانطلقت إليها وفي نفسي ثورة مكظومة ، ورحت أهزها في عنف وأحدثها في كمد ثم دفعتها عني وأنا أناديها وداعاً ... وداعاً ، يا ربة الشاطئ » .

يا ربة الشاطئ ! إن حب الابن في قلب الرجل فوق حبك ، وإن هوى الزوجة فوق هواك ، وإن راحة الدار فوق رغباتك ! فوداعاً ... وداعاً يا ربة الشاطئ .

كامل محمود حبيب

أبو خليـــل القبانى

باعث نهضتنا الفنية

وأثر رحلته إلى الديار المصرية

للأســتاذ حسنى كنعان

— ٥ —

كان هبوط القبانى مصر فى عهد سلاكى الجنان المنور لهم : (الخديو إسماعيل والخديو (توفيق) والخديو (عباس)) وكان هؤلاء يعطفون عليه بعض ولاة الشام ويشجعونه حتى بلغ من شدة عطف الخديو توفيق عليه أنه طيب الله ثراه ونضر ضريحه كان له فى مسرحه حجرة خاصة يؤمها كلما لفتت نفسه وتاقت لمشاهدة فن هذا النابغ السورى العظيم .

ومما حببه إليه أن مدة إقامته الطويلة فى مصر صادفت هذا العهد التوفيقى الذى كتب له فيه النجاح والفلاح .

ولقد اشتهر نابغتنا فى هذا العهد وفى هذه البلاد التى تعرف قيمة الفن وأربابه نال شهرة فائقة لا تقاس بها شهرته فى وطنه حتى غدا مسرحه فى برهة وجيزة كعبة للقصاد وقبلة أنظار عشاقه . وكانت شهرته فى سورية مقتصرة على هذا المحيط الضيق ، أما هنا فلقد طارت شهرته فى كافة أقطار العالم وأصبح بهذا مغناً عالياً عرف له أهل الخبرة من الفنيين المتكسبين من هذه الصناعة والمتذوقين قدره ولزموا مجالسه — وأقبلوا على مسرحه إقبالاً رائعاً إن دل على شيء فإنما يدل على مقدار عظمة مصر وتقديرها للنابغين ، فأخذ عنه الكثيرون منهم وتتلمذوا عليه — وناصروه وآزروه فانتعشت بذلك آماله وتجددت همته فارى أبناء الوادى من عظيم فنه وخوارق مواهبه ما سيره موضع الإكرام والإجلال بينهم ، فنسى بهذا أيامه السود التى مرت عليه فى الشام بعيداً من السلطان ومنبوذاً من الأهل والخلان) . وكان (عبده الحمولى) المغنى المعروف والمطربة المبدعة (ألماظ) لا يتورعان عن حضور حفلاته ولا يبخلان على الجماهير بعرض بعض أدوارهما وتطبيقاتهما الموسيقية والغنائية فى فترات فصول رواياته ، ولهذا كان مسرحه يحوى العبرة والعظة فى التمثيل والفن والطرب والإبداع فى التغنى والإنشاد ...) وهنا أرانى ملزماً بإثبات بعض ما ورد عنه فى كتاب الموسيقى الشرقى لأحد تلاميذه المرحوم (كامل الخلعى) من وصف عام شامل يدرك القارىء منه مقدار المكانة الفنية الرائعة التى كان يتمتع نابغتنا بها فى مصر ومقدار تقدير المعاصرين له . قال بالحرف الواحد ما نصه .

فكان مسرحه مورداً عذباً يؤمه الكبراء والأمراء والشعراء والأدباء لمشاهدة رواياته وجلها من منشآته لما جمعت بين جزالة الألفاظ وعذوبتها ورقة المعانى ودقتها — أرهفت نواحيها بالتهذيب ، وطرزت حواشيها بكل غريب — شهد بحسنها الكثير من أهل البلاغة ومتقنى صناعة الصياغة كما شهد من قبل أكابر الموسيقيين وفطاحل الملحنين — وكان بعد انتهاء كل رواية يلقى من القطع الموسيقية شذوراً تنزو لها الأكباد ، ويتحرك لحسن وقعها الفؤاد ، حتى أحرزت مصرنا من إقامته فيها فنوناً جزيلة وفضائل جليلة يقدرها حق قدرها أولو السجايا الجيدة والعقول الحصيفة — ولا ينكرها إلا ذوو الأغراض السائلة السخيفة اه) .

هذا وقد أفرد له تلميذه بحثاً خاصاً ذاكراً فيه مزاياه الفنية والأدبية والأخلاقية والعلمية يراه القارىء فى تراجم عظماء الموهوبين من رجالات الفن على الصفحة (١٣٧) من هذا الكتاب التى أشرت إليه آنفاً ونقلت منه هذه الفقرة من الترجمة مدللاً بها على صحة ما أوردته من تقدير هذا النابغ فى مصر العزيزة وهى غيض من فيض ما كتب عنه فى هذا الفصل يراه الباحث المنقب الذى يريد أن يعرف عظمة القبانى يومئذ فى ربوع النيل السعيد ، وقد عرف من الشيخ سلامة حجازى أنه كان يحضر رواياته وهو فتى حدث لم يبلغ الحلم بعد فلفت نظر القبانى هذا الفتى المداوم على مشاهدة رواياته كل ليلة فسأل عنه فقيل إنه منشد حدث ينشد فى الأذكار والموالد يدعى سلامة حجازى فدعاه لإيمانه فأسمعه إياه فسر به كل السرور وتنبأ له بمستقبل باهر وصيت بعيد . ولقد صدقت نبوءة القبانى فيما بعد وأرتنا الأيام أن الشيخ سلامة أمسى نابغة عصره فى فنه وأن الزمان قل أن يجود بمثله فى عصر ضن بالأصوات الكاملة التى تشبه صوته ، ولا بد أن يكون الشيخ سلامة بهذه المداومة على رواياته كل ليلة قد أخذ عنه الكثير من

أصول التمثيل والفن وتتلمذ عليه لأن هذا الفن كان مجهولاً لدى المصريين كما أن أولاد عكاشه عبد الله وأخويه كانوا من تلاميذه الداومين ، وعبد العزيز خليل وكامل الخلعي كانا من أنبغ تلاميذه المقربين إليه . وأول من ساعده في عمله من المصريين « أنطون فرح » اشتغل في جوقته بحديقة الأزبكية . ولما طبقت شهرته الآفاق طلب للذهاب إلى معرض (واشنطون) ليعرض بعض رواياته « وقطعاته الفنية فيه ، فأبحر مع أفراد فرقته إلى الدنيا الجديدة وكلهم أمل وغبطة لإطلاع زوار المعرض على الذكاء العربي ومقدار ما وصل إليه فنه — بيد أن الدوار الذي اعتراه في طريقه جعله يعدل عن السفر فعاد أدراجه من إيطاليا إلى القاهرة وسافر أفراد فرقته وحدهم إلى (واشنطون) وعرضوا على زواره بعض فصول من قطعاته الموسيقية وبعض روايات كانت موضع تقدير القوم وإعجابهم هناك .) رأى نابغتنا بعد عودته من إيطاليا أن ينقل مسرحه من الأزبكية إلى قرب دار (الأبرا) الملكية ففعل . وبعد مدة من الزمن احترق مسرحه وعاد الشؤم والنحس يصحبانه من جديد ، وكان قد انتشر هذا الفن في ربوع النيل وكشفت غوامضه مما أهاب بصاحبنا أن يهجر القاهرة لتفرق أفراد جوقته وقلة ذات يده ويؤم الأرياف متكسباً مع بعض أفراد جوقته المتخلفين عن السفر إلى (واشنطن) فزاول العمل مدة في الأرياف ثم قل العمل وتاقت نفسه للعودة إلى بلاده التي دفن فيها أحلامه.)

وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا

وفي نزوة من نزوات النفس الأمارة وموجة من موجات الشوق المبرح للمغنى عاد القباني إلى دمشق بعد أن نشر رسالة الفن في القطر الشقيق ، وكانت الحال قد تبدلت في وطنه ومات من مات من عشاق فنه ورواد مجالسه ، وهلك من هلك من حساده ومناوئيه . وكان المشيب يومئذ قد أشعل رأسه وكلل جبينه بهالة بيضاء من نور الشيخوخة والوقار فلم يجد في نفسه الهمة الفنية والكفاءة للقيام بأي عمل فني فأقام في دمشق مدة كان معتزلاً العمل خلالها زاهداً في بيته منقطعاً إلى صلاته ونسكه حتى أتاه رسول أحمد عزة باشا العابد) يدعوه باسمه للشخوص إلى الآستانة ليمهد له سبل المثول بين يدي الذات الشاهانية ، فتجددت عزائمه بهذا الطلب وعاد الأمل يداعبه من جديد وقد نسي أن لكل زمان دولة ورجالاً ، وقد هتف به هاتف من نفسه أن يعتذر عن هذه السفرة ؛ بيد أن شبح (البوسفور) وآفاته التي تبتلع أشلاء الضحايا مثل أمامه ودفعه إلى إجابة الباشا إلى طلبه ، وفور وصوله الآستانة استقبل من قبل الحاشية استقبالاً فخماً وحل ضيفاً على الوزير النابه صاحب الدعوة ، وكان يتقن اللغتين التركية والفارسية فبقي هناك ضيفاً يتمتع بعطف مضيفه مدة من الزمن حتى احتال الوزير الداهية على المليك بوعد لمقابلة القباني ، وكان من شروطها الدخول على السلطان وهو محني الرأس ومطرقاً إجلالاً وإكباراً مقبلاً الأعتاب بين يديه ، وهي مراسيم كانت تطبق على كل من يريد المثول أمام هذا الطاغية الجبار ، ومن يخالفها لا يكتب له الحظوة بهذه المقابلة . وعندما عرضت على صاحبنا القباني رفضها بشمم وإباء قائلاً : أنا رجل فسيح وحدي لا أحني رأسي لغير خالق الذي يحيني ويحييني ويطعمني ويسقيني وبيده ضري ونفعي؛ فإن شئت يا سيدي الباشا أن تكون مقابلتي لمولاي المعظم كمقابلتي لكل إنسان آخر من الناس فعلت ، وإن أبيت إلا هذه الشروط فاعفني من هذه الزيارة التي فيها المذلة والمهانة) .

لم يكد الباشا يسمع من صاحبه هذه العبارات حتى كاد يجن لشدة ما عراه من الغضب والحنق ، فغض الطرف عن هذه الزيارة ثم صدف القباني عنه قائلاً أرجوك رجاء حاراً ألا تذكر ما دار بيني وبينك من حوار إلى أي مخلوق لئلا يصل ذلك إلى مسامع السلطان فتكون الطامة الكبرى علينا نحن الإثنين ، كما أني آمرك أن ترحل من هذه الديار على الفور دون أن يشعر بك إنسان ، وقد خصص له بعد سفره معاشاً من خزينة الدولة يكفيه هو وأفراد أسرته .

بقي القباني يتقاضى في دمشق هذا الراتب منحة من الوزير الشجع لكل موعبة حقبة من الزمن كان فيها معتزلا الناس إلى أن اختاره ربه إلى جواره ، فانطفأت بانقضائه تلك الشعلة الفنية التي أضاءت النور للشرق عامة ونفذ إشعاعها إلى ديار الغرب ، وكانت السبب في انبعاث هذه النهضة الفنية التي قامت في ربوع الشام والنيل والتي لا يزال أثرها ماثلاً للعيان يذكرها أبناء هذا الجيل والأجيال القادمة كابراً عن كابر) ...

وكانت وفاته في دمشق سنة ١٣٢٠ هجرية ودفن في مقبرة الباب الصغير. قضى كما يقضي عظماء الرجال دون أن يترك لأسرته من بعده صبأ ولا لبداً ولم يبق لأسرته سوى بيت للسكن تقطنه الآن ابنتاه الكهلتان. ومما يجدر ذكره هنا في هذه الترجمة إقراراً بالجميل أن باشه ظلت ابنتاه تتقاضيانه حتى موت الوزير الماجد ولم ينقطع عنهما إلا في عهد زوال الدولة العثمانية وظهور الدولة الكمالية.

هذا ما يحلو لي أن أكتبه خدمة للتاريخ والحقيقة عن القباني المثل راجياً أن تتاح لي فرصة أخرى وأكتب نبذة عن القباني الموسيقي للحن الذي أضاف إلى رقصة السماح نوعاً آخر في هذه الرقصة وهي الإيقاع بنقل الأرجل وتقديم الصدر وتأخيره في جولات الرقص. ولهذا النابغ موشحات وقدود وأناشيد نبوية لا تزال متداولة بين المنشدين في مسجد بني أمية وما فتئت مستعملة حتى الآن يتبارى بها أرباب هذه الصناعة في حفلات الأذكار — وفي المساجد في ليالي رمضان وغيرها من الأيام المباركة كليلة النصف من شعبان وليلة القدر وغيرها وسنفرد لهذا البحث صفحة خاصة.

حسني كنعان

برلمـــان الأقلام

للأستـــاذ عمر عودة الخطيب

بعد أن امتحن العرب تلك المحنة القاسية بفلسطين، فكانت لهم — وا أسفاه — نكبة ومأساة، شطرت الأمة العربية أشطاراً متناحرة، ودولاً متنافرة، وقضت على شعب كريم بالتشريد والفناء، وألقت به منبوذاً بالعراء، يقاسي مرارة المهانة وألم الحرمان، وينتظر رحمة الضمير الأوربي في مؤتمر (لوزان)، بعد هذا كله انصرفت الأقلام عن الكتابة في موضوع فلسطين، وآثرت أن تجنح إلى الراحة، وتثاءبت على أوراق الكتاب، وأوعاد بعضها سيرته الأولى، يكتب ما لا غناء فيه، ولا طائل تحته، ولا جدوى منه مما لا يمس أدواء الأمة الخطيرة، أو يصور مآسيها الماضية، ونكبتها اللاحقة ... وكأن فلسطين — إبان المعارك فيها — كانت لبعض الأقلام القادرة، رفداً أنقذ هامن مسغبة، وأحياها من موات، ذلك لأن من خطل الرأي وفساد الذوق — ولا شك — أن تشغل (فلسطين) الدنيا كلها، والعالم العربي خاصة، ثم لا تشارك أقلامهم الناس فيما هم فيه، ولا تبض — على الأقل — ببعض كلمات، تنير السبيل، وتبصر الضال، وتهدي الحائر ... وكأني بهؤلاء كانوا يضيقون ذرعاً بهذا الموضوع الذي طال الكلام فيه، والجدل حوله، فكانوا — كما أحسب — يتلمسون منه خلاصاً، فلا يجدون منه مناصاً، حتى إذا ما انقطع زئير المدافع، ودوى النسور، وأذعن العرب لهذه (الهدنة) المقنعة، هادنت أقلامهم هذه الموضوعات ورجعت إلى الشواطىء والحانات، تصف الأجساد العارية، والأفخاذ الناتئة، والرقص والابتذال، ومسابقات الجمال ... ولولا أن (الرسالة) الغراء تنقل إلينا بين فترة وأخرى، بعض المقالات الرائعة في هذه الموضوعات الحية، من كتاب مجيدين، وأدباء يقظين، لأوشك القارىء العربي أن تنظم محنته، وتكبر بليته، فيرى اسم (فلسطين) يحتضر — الآن — على أسنة الأقلام، كما احتضر — من قبل — على ألسنة بعض الحكام.

ذكرت هذا حين قرأت ذلك المقال الرائع (البرلمان الشعبي العربي والاستعداد للحرب مع اليهود)(1) للأستاذ فتولا الحداد، فأدى إلى مقالات مضت، وأبحاث غبرت، وكلمات قيمة نشرت، للأستاذ الفاضل، ولأستاذنا الجليل (الزيات) ولغيرهما من أعلام البيان، ورجال الفكر ... وعلى الرغم مني قارنت بين الأمس واليوم فألفيت بالأمس النائر شعوراً دافقاً، وحماساً لاهباً، أحيا العزائم، وأيقظ المشاعر، وكان له — فيما أرى — أثر بالغ في توجيه الأنظار، وتنبيه الأفكار.

أما اليوم فإننا — نحن شعوب العرب — بحاجة إلى أن نضم إلى إعدادنا الحربي والسياسي، وإعداداً فكرياً شعورياً آخر، يصور لنا — بصراحة تامة — عوامل انخذالنا، وأسباب انهزامنا، كما يصف لنا عدونا بما هو عليه المتطير، وخطره الوبيل، ومكائده وأحابيله ومطامعه من الفرات إلى النيل، حتى يدرك كل عربي معركة الغد، فيأخذ لها أهبتها، ويعد لها عدتها،

(1) في العدد ٨٣٦ من الرسالة.

لئلا يقع في المستقبل ، — كما وقع بالأمس — صريع النفاق والجهالة ، والضعف والاستسلام .

إذا أبى علينا — فيما مضى — طغيان أعدائنا من أوربيين وأمريكيين ، واستسلام إخواننا وأبناء عمنا من السادة اليعربيين ، أن نمضي في جهادنا ، ونثأر على نضالنا ، ونتيح للشباب الظامئ ، المتوثب ، أن يروى ظمأه من دماء اليهود ، ويطفئ غلته في الأرض المقدسة ، فلن يصل طغيان أولئك واستسلام هؤلاء ، إلى الأقلام الحرة ، فعليها أن تجدد حملتها ، وتعيد كرتها ، فتوقظ النائمين ، وتفضح الخائنين ، وتحيي في نفوس الشباب تلك العزمة التي أوهنتها الصدمة ، وتذكي بين جوانحهم تلك الجذوة التي أخمدتها النكبة ، وذلك الحماس الذي أذهله مكر الماكرين وخذلان الباغين . نعم نريد من هذه الأقلام — وهذه إرادة الشباب — أن ترأب الصدع ، وتجمع الشمل ، وتلم الشعث ، وتدفع في تيار من الحياة جديد ، ذي قوة ومراس ، ورجولة واحتراس ، هذه القافلة التائهة وهذا الركب الحائر ... وليس أجدى علينا من أن تكون هذه الأقلام — الأقلام الكبيرة — بريد اليقظة الكاملة ، والنهضة الشاملة ، لهذه الأمة العاثرة .

وأن لنا في التاريخ ، لأمثلة حية من جهاد الأقلام ، في أنهاض الأمم ، وإيقاظ الهمم ، وهذه كتب (روسو ومونتسكيو وفولتير) وغيرهم بين أيدينا ، تشهد على ما فعلته في فرنسا أيام غفلتها ، وأبان رقدتها .

فإذا لم تسبق فكرة (البرلمان الشعوبي العربي) هذه المرة الفكرية من (برلمان الأقلام) في مصر وغيرها ، وقادة الرأي ، وأعلام الفكر في الأمة العربية كلها ، حتى تتناجى الأرواح ، وتلتقي الأفكار ، وتتحدث المشاعر ، فلن نجد عند المعركة ، الأذن التي تسمع ، والقلب الذي يعي ، والعقل الذي يفكر ، والإرادة التي تعمل ، وإذا خسرنا هذه كلها ، فلن تنفعنا — حين ذاك — هذه (المؤتمرات) ولا تلك (البرلمانات) .

فلعل أدباءنا الأمجاد ، يعرفون هذه الحقيقة ، فيعطوها نصيباً من أقلامهم ، وقليلا من وقتهم ، ويسيراً من تفكيرهم ، وهم — دون شك — يعلمون بأن دولة الأفكار في حصن مكين ، لا تنالها قوة ، ولا يصل إليها عدوان ... ولنذكر أخيراً كلمة شكسبير الخالدة (تستطيع أن تسلبني مالي ، وأن تسجنني ، وأن تقبض روحي ، ولكنك عاجز عن قتل فكرة واحدة من أفكاري . إن الأفكار تستمد وجودها من الله .)

(دمشق — المزة) عمر عروة الخطيب

أوهـــام في الزيتون

للآنسة الفاضلة فدوى عبد الفتاح طوقان

« فى السفح الغربى من جبل (جرزيم) حيث تملأ مغارس الزيتون القلوب والعيون ، هناك ، ألفت القعود فى أصيل كل يوم عند زيتونة مباركة ، تحنو على نفسى ظلالهـا ، وتمسح على رأسى عذبات أغصانها ! وطالما خيل لى أنها تبادلنى الألفة والمحبة ، فتحس بإحساسى ، وتشعر بشعورى .
وفى ظلال هـــذه الزيتونة الشاعرة كم حلمت أحلاماً ووهمت أوهاماً » .

هنا ، هنا ، فى ظل زيتونتى   تحطم الروحُ قيودَ الثرى
وتخلد النفس إلى عزلة   يختنق فيها الصمت لغوَ الورى

هنا ، هنا ، فى ظل زيتونتى   فى عدوة الوادى ، بسفح الجبل
أصغى إلى الكون ولمـا تزل   آيانه تروى حديثَ الأزل

هنا يهيم القلب فى عالم   تخلقه أحـــلامىَ المبهمه
لألقه فى ناظرى روعـة   وللرؤى فى مسمعى هينمه

عالم أشـــواق سماوية   تطلق روحى فى الرحاب الفساح
خفيةً ، لا الأرض تثنى لهـا   خطواً ، ولا الجسم يهيض الجناح

واهاً ! هنا يهفو على مجلسى   من عالم الأشواق روح حبيب
لم تره عينـــاى ، لكنه   فى خاطرى ، يا للبعيد القريب

أكاد بالـــوهم أراه متى   يغمر قلبى بالحنان الدفيق
يمضى به نحو سمـــاء الهوى   على جناح من شعاع طليق

زيتونتى ، لله كم هاجس   أوحت به أشواقى الحائره ...
وكم خيالات وعى خاطرى   تدرى بها أغصانك الشاعره !

تحيق أنت وقـــد عزّنى   نجىُّ روحى يا عروس الجبل
دعى فـــؤادى يشتكى بثه   لعل فى النجوى شفاءً ، لعل

يا ليت شعرى إن مضت بى غداً   عنك يدُ الموت إلى حفرتى
تراك تنسين مقامى هنــــا   وأنت تحنين على مهجتى ؟

تراك تنسين فؤاداً وعت   أسراره أغصانك الراعيات
باركها الله ، لكم ناغمت   وهدهدت أشواقه الصارخات !

زيتونتى ، بالله إما هفت   نحوك بعدى النسمة السائغه
فاذكرى كم نفحتنا معاً   عطورها الناعمة الفاغمــــه

وحين يستهويك طيرُ الربى   بنغمة ترعش منك الغصون
فاذكرى ، كم طائر شاعر   ألهمه شدوى شجىَّ اللحون !

تذكرينى كلمـا شمشمت   أوراقك الخضراء شمس الأصيل
فكم أصيل فيه شــــيعتها   بمهجة حرّى ، وطرف كليل

إن يزوها الغربُ عن عرشها   فالشرق الزاهى بها يرجع
لكننى ، آهاً ، غداً تنزوى   شمس حياتى ثم لا تطلع !

ويحى ، أتطوينى الليالى غداً   وتحتوينى داجيات القبور ؟
فأين تمضى خفقاتُ الهوى   وأين تمضى خلجات الشعور ؟ !

ونور قلبى ، والرؤى ، والمنى   وهـــذه النار بأعماقيه ...
هـل تتلاشى بدداً كلها   كأنها ما لمحت ذاتيه ! ..

أما لهذا القلب من رجعة   للوجد ، للشعر ، لوحى الخيال ؟
أيخمد الشبوب من ناره   واشقوة القلب بهذا المآل ! .

يا رب إما حان حين الردى   وانعتقت روحى من هيكلى
وأعتقت نحـــوك مشتاقة   تهفو إلى ينبوعها الأول —

وبات هذا الجسم رهن الثرى   لقىً على أيدى البلى الجائره
فلتبعث القدرة من تربتى   زيتونة ملهمة ... شاعره ...

جذورها تمتص من هيكلى   ولم يزل بعد طرياً رطيب
تعبُّ من قلبى أنواره   ومنه تستلهم سرَّ اللهيب !

حتى إذا يا خالق أنعمت   عناصرى أعصابهـا والجذور
انتفضت تهتـــز أوراقها   من رقة الحسِّ ووهج الشعور

وأفرعت غيــداء فينانةً   مما تروّت من رحيق الحياة
نشوى بهذا البعث ، ما تأتلى   تذكر حلماً قد تلاشت رؤاه

حلم حياة سربت وانطوت   طافحــــة بالوهم — بالنشوة
لم تك إلا نغماً شـــاجياً   على رباب الشوق والصبوة !

(نابلس)   فدوى عبد الفتاح طوقان

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

مشكلة الأداء النفسي في الشعر العربي :

مشكلة الأداء النفسي في الشعر مشكلة تهم الشعراء المحدثين ، وتهم النقاد المحدثين ، وتهم القراء المحدثين . تهمهم جميعاً لأن نظرة الشاعر إلى النفس والحياة قد تفاوتت بين الأمس واليوم ، وكذلك نظرة الناقد ونظرة القارئ ... ويلاحظ هنا أنني أقصر الحديث على الشعر العربي وحده دون سواه .

إن رأيي في الشعر العربي القديم هو رأيي في مشكلة الأداء اللفظي في هذا الشعر، وهي مشكلة شغلت الشعراء القدامى فأفرغوا فيها كل طاقتهم الشعرية لا الشعورية ، وشغلت النقاد القدامى فأقاموا موازينهم للألفاظ من حيث الدلالة المادية لا النفسية ، وشغلت القراء القدامى لأن فهمهم للشعر قد استمد أسباب وجوده مما بين أيديهم من نتاج شعري يسير في ركابه النقد الموجه لهذا النتاج ... إذا قلت لك إن الشعر العربي القديم كان في جملته شعر « السطوح الخارجية » للنفس والحياة ، فلا تحمل هذا القول على التعصب للحديث والوقوف إلى جانبه . إن أمامك هذا الشعر ، فراجع فيه نفسك ، واستشر في حقيقته ذوقك وحسك ، إنه شعر يشعرك بفراغ « الوجود الداخلي » عند قائليه ، لأنهم كانوا يعيشون خارج « الحدود النفسية » في الكثير الغالب من الأحيان، فإذا عادوا إلى تلك الحدود فتغلبوا على مشكلة « الصدق الشعوري » قامت في وجوههم مشكلة أخرى هي مشكلة « الصدق الفني »... وهنا مفرق الطريق بين المشكلتين الرئيسيتين : مشكلة « الأداء النفسي » ومشكلة « الأداء اللفظي » ، في معرض الموازنة بين الشعر العربي الحديث والشعر العربي القديم !

وأحب هنا أن أوضح الفوارق بين هذه القضايا الفنية في حدود التعبيرات الاصطلاحية والنقدية... فما هو الصدق الشعوري أولا ، وما هو الصدق الفني ثانياً ، حتى نستطيع أن نصل إلى الهدف الأخير حول مشكلتي الأداء في الشعر ؟

الصدق الشعوري هو ذلك التجاوب بين الوجود الخارجي المثير للانفعال ، وبين الوجود الداخلي الذي ينصهر فيه هذا الانفعال . أو هو تلك الشرارة العاطفية التي تندلع من التقاء تيارين : أحدهما نفسي متدفق من أعماق النفس ، والآخر حسي منطلق من آفاق الحياة . أو هو ذلك التوافق بين التجربة الشعورية وبين مصدر الإثارة العقلية في مجال الرصد الأمين للحركة الجائشة في ثنايا الفكر والوجدان ... هذا هو الصدق الشعوري وميدانه الإحساس ، أما الصدق الفني فميدانه التعبير ؛ التعبير عن واقع هذا الإحساس تعبيراً خاصاً يبرزه في صورته التي تهز منافذ النفس قبل أن تهز منافذ السمع ، وهذه هي التجربة الكبرى التي تختلف حولها القيم الفنية للشعر في معرض التفرقة بين أداء وأداء !

هناك شاعر يملك الصدق في الشعور ولا يملك الصدق في الفن ، لأنه لم يؤت القدرة على أن يلبس مشاعره ذلك الثوب الملائم من التعبير ، أو يسكن أحاسيسه ذلك البناء المناسب من الألفاظ ، ولا مناص عندئذ من الإخفاق في إظهار الطاقتين معاً : الشعرية والشعورية ... وهنا يأتي دور الأداء النفسي في الشعر ، وهو الأداء الذي يعتمد على اللفظ والجو الموسيقي : اللفظ ذو الدلالة النفسية لا المادية ، اللفظ ذو الظلال الموحية لا الظلال الجامدة ، اللفظ الذي يتخطى مرحلة إشعاع للمعنى الجزئي الواحد إلى مرحلة إشعاع المعاني الكلية المتداخلة !

هذا هو مكان اللفظ من الأداء ، أما الجو فنقصد به ذلك الأفق الشعري الذي ينقلك بصدقه إلى مكان الفن وزمانه ، ويحقق لك تلك المشاركة الوجدانية بينك وبين الشاعر ، ويحدث لك نفس الهزات الداخلية التي تلقاها وهو في حالة تناغم شعوري كامل مع « الوجود الخارجي » .

ويبقى بعد ذلك عنصر التنغيم في مشكلة الأداء ، وهو عنصر له خطره البعيد وأثره الملحوظ في تلوين الانفعالات الذاتية في التعبير . وهنا يبدو الارتباط كاملا بين العناصر الثلاثة ، لأن « الحقل الشعري » ممثلا في عنصري الألفاظ والأجواء لا غنى له بحال من عنصر « الموسيقى التصويرية » التي تصاحب « المشهد التعبيري » في كل نقلة من نقلات الشعور ، وكل رفة من رفات الخيال !

ويظهر أثر الربط بين هذه القيم فى مشكلة الأداء النفسى حين نلمس ذلك التناسق بين فنون الشعر المختلفة ... إن لكل فن من هذه الفنون طابعه الخاص المتميز فى مجال التصوير الفنى عن طريق اللفظ والجو والموسيقى؛ فمن أسباب الإخلال بالأداء النفسى أن تتخير اللفظ الهامس ، والجو الهادئ ، والموسيقى الحالمة مثلا فى شعر الملاحم ، وأن تعكس القضية من وضع إلى وضع فتتخير اللفظ الهادر ، والجو الصاخب ، والموسيقى العاصفة مثلا فى شعر الغزل والرثاء !

تترك هذا التحديد لكل تلك القضايا الفنية لنقول إن أصحاب الشعر العربى القديم لم يفطنوا إلى قيم الأداء النفسى فى الشعر إلا فى القليل النادر الذى لا يحسب له حساب ... وإذا كانت هناك ومضات من هذا الأداء تطالعك فى هذا الشعر ، فهى ومضات متفرقة يصعب أن تجمع بينها لتخرج من هذا الجمع برصيد يمكن أن ينسب إلى شاعر واحد ، لتخلق من شخصيته الشعرية قمة من قمم الأداء النفسى ! مصدر الداء أنهم نظروا إلى مظهر اللفظ أكثر مما نظروا إلى مخبره ، وأنهم شغلوا عن « الذاتية النفسية » بتلك « الذاتية البيانية » ، وأنهم عبروا عن الشعور المصنوع أكثر مما عبروا عن الشعور المطبوع !

على هــذا الأساس سار الشعر القديم يبارك خطواته النقد القديم؛ ذلك لأن الأجيال قد دأبت على أن تخلق أبناءها فى ميدان الفن من طينة واحدة ، وأن تصوغ ملكاتهم من معدن واحد : يقف الشاعر عند « الهياكل اللفظية » للألفاظ ويقف معه الناقد ، وغاية الفن عند هذا وذاك أن يطلب الأول إلى صاحبيه أن يقفا لحظات ليبكيا معه ، وأن يشير الثانى إلى أنه قد بلغ القمة لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى ، أو لأنه مثلا قد وفق إلى تشبيه شيئين بشيئين فى بيت واحد !

لا أريد أن أذهب فى القول إلى أكثر مما ذهبت فى هذا المجال ، لأن مشكلة الأداء اللفظى لا تحتاج إلى أن نستخلص لها الشواهد من الشعر العربى القديم ، ولأن تلك الشواهد قد مر بها القراء والأدباء فى مطالعتهم لذلك الشعر ، وهى بعد ذلك أوضح فى حساب الكثرة من أن يشار إليها أو تجمع فى حساب التسجيل والإحصاء !

حسبنا أن نقول إن الشعراء المحدثين قد خطوا بفهمهم لأصول الفن الشعرى خطوات جديدة ، ووثبوا بالأداء النفسى وثبات أقل ما يقال فيها إنها ردت للألفاظ قيمها التعبيرية حين ردتها إلى معاريها النفسية فغدت وهى صلوات شعور ووجدان. ويستطيع النقد الحديث أن يقول إنه قد وجد ضالته فى هذا الشعر الذى وجد نفسه ... وإذا قلنا الشعر العربى الحديث ، فإنما نعنى ذلك الشعر الذى بدأت مرحلته الأولى بتلك المدرسة من بعض شعراء الشيوخ وعلى رأسهم « شوقى » ، وبدأت مرحلته الثانية بتلك المدرسة الأخرى من بعض شعراء الشباب وعلى رأسهم « إيليا أبوماضى » ، وفى شعر هذين الشاعرين تبدو ومضات الأداء النفسى أكثر لمعانا منها فى شعر الآخرين ! ..

ولقد قدمت إلى القراء نقداً تحليلياً لمشكلة الأداء النفسى فى الشعر ، وبقى أن أقدم إليهم نموذجاً كاملا لهذا الأداء ، حتى تتكشف لهم جوانب ذلك النقد على ضوء هذا المثال ، وهو قصيدة الشاعر إيليا أبى ماضى ، وقعت عليها دون أن أعمد إلى شىء من الاختيار ... عنوان القصيدة « وطنى » ، ويتناولها هذه الأبيات:

وطن النجوم ... أنا هنا حدّق ... أتذكر من أنا ؟
ألمحت فى الماضى البعيد فتى غريراً أرعنا
جذلان يمرح فى حقولك كالنسيم مدندنا
المقتنى المملوك ملعبه وغير المقتنى
يتسلق الأشجار لا ضجراً يحس ولا ونى
ويعود بالأغصان يبريها سيوفاً أو قنا
ويخوض فى وحل الشتاء مهللا متيمنا
لا يتقى شر العيون ولا يخاف الألسنا
ولكم تشيطن كى يدور القول عنه : تشيطنا !

***

أنا ذلك الولد الذى دنياه كانت هاهنا
أنا فى مياهك قطرة فاضت جداول من سنى
أنا من ترابك ذرة ماجت مواكب من منى
أنا من طيورك بلبل غنى بمجدك فاغتنى
حمل الطلاقة والبشاشة من ربوعك للدنى

***

كم عانقت روحي رباك وصفقت في المنحنى
للبحر ينشره بنـوك حضـارة وتمدنا
لايـل فيك مصلياً ... للصبح فيك مؤذنا
للشمس تبطئ في وداع ذراك كيلا تحزنا
للبـدر في نيسان يكحل بالضياء الأعينا
فيذوب في حدق المها سحراً لطيفاً لينا
للحقل يرتجل الروائع زنبقاً أو سوسنا
للعشب أثقله الندى ... للغصن أثقله الجنى
عاش الجمال مشرداً في الأرض ينشد مسكنا
حتى انكشفت له فألقى رحله وتوطنا
واستعرض الفن الجبال فكنت أنت الأحسنا

هذا هو الأداء النفسي الذي أبحث عنه وأدعو إليه ، الأداء النفسي الذي يعتمد بصورته التعبيرية من الصدق الفني والصدق الشعوري ، ويعتمد على العناصر الثلاثة التي حدثتك عن قيمها الفنية ، وهي اللفظ والجو والموسيقى : اللفظ الخاص ، والجو الخاص ، والموسيقى الخاصة ... وتعال نستعرض مواكب الألفاظ أولا في شعر أبي ماضي :

قف عند البيت الأول لتتفيأ الظلال النفسية في كلمة «حدق» . وقف مرة أخرى عند البيت الثاني لتنفذ إلى أعماق الواقعية في كلمة « أرمن » . وقف مرة ثالثة عند البيت الثالث لتتذوق المعاني الحسية في كلمة « مدندن » . وطبق هذه اللمحات واللفتات على الأبيات التالية حين تقف عند كلمة « يتسلق » و « يغوص » و « تشيطن » من ناحية الحركة المتدفقة في ثنايا التعبير . وعندما تبلغ البيت العاشر قف طويلا لتطرق الأبواب الشعورية الضخمة في كلمة « ولد » ... لو قال أبو ماضي مثلا « أنا ذلك الطفل » بدلا من « أنا ذلك الولد » لبدت اللفظة عادية لا تثير في النفس شيئاً من المشاعر والأحاسيس . ولو قال مثلا « أنظر » بدلا من « حدق » لبدت اللفظة مغرقة في المادية فلا إشعاع ولا إيحاء !

إن الألفاظ هنا قد اختيرت لتوضع في مواطنها الأصيلة لتؤدي دورها الأصيل في إرسال الموجات الصوتية المعبرة عن واقع الهزات المنبعثة من الوجود الداخلي ... وانظر إلى كلمتي « ماست » و « ماجت » في البيتين الحادي عشر والثاني عشر ، وإلى كلمتي « عانقت » و « صفقت » في البيت الخامس عشر لترى مبلغ الإثارة الوجدانية في الصورة الوصفية . وقل مثل ذلك عن البيت الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين عندما تضع في بوتقة الشعور كلمة « تبطئ » و « يكحل » و « يذوب » ... وأنم الميزان كل الميزان لهذا الحقل الذي « يرتجل » الروائع من الزنبق والسوسن ، ولهذا الجمال الذي « شرد » في شعاب الأرض يلتمس المأوى حتى إذا ظفر به « ألقى رحله » واستراح . ولا ننس ذلك الفن الذي « استعرض » الجبال ليختار أحسن الأوطان !

وتعال بعد ذلك أحدثك عن عنصري « الجو والموسيقى » في هذا الأداء : الجو الذي قلت لك عنه إنه الأفق الشعري الذي ينقلنا إلى مكان الفن وزمانه ، ويحقق لنا المشاركة الوجدانية بيننا وبين الشاعر ، ويحدث لنا نفس الهزات الداخلية التي يتلقاها وهو في حالة فناء شعوري كامل مع الوجود الخارجي ... إن الشاعر هنا يصور ملاعب الطفولة البريئة في رحاب الوطن الأول ، وهو بعد ذلك يستعيد ذكرى عهود ، عهود مرت بنا ونسيناها ، فإذا هي تعود إلينا من وراء الوعي حية نابضة ، وما هذا النبض وتلك الحياة إلا من أثر القدرة على البعث والإثارة !

إنك لتحس من هذا « الجو » الذي ترسمه ريشة الشاعر على لوحة الشعور أنك قد نقلت نقلا على جناح الخيال إلى هناك ، إلى ذلك الأفق البعيد الموغل في طوايا الزمن ... وإذا أنت في كل بيت من أبيات أبي ماضي تكاد تلمح طفلا يتوثب مرحاً ونشاطاً وحيوية ، طفلا يخيل إليك أن كل نقلة من نقلات الإيقاع الموسيقي هي وقع الخطى من قدميه الصغيرتين !

ولعلك تلاحظ أن الإيقاع هنا هو إيقاع الموسيقى الحالمة ، ذلك لأن الجو الشعري هو جو الأحلام الخالصة ، جو الذكريات التي يهمس بها الماضي الحبيب في مسارب النفس الخفية ، فيرتد الصدى العميق من تلك الأغوار إلى ثنايا الكلمات ، ممثلا في تلك الوقفات الملتهبة من جيشان العاطفة . . .

وهذا هو دور الموسيقى التصويرية التي قلت لك عنها إنها تصاحب المشهد التعبيري في الأداء النفسي ، وتعمل على تلوين الانفعالات المختلفة تلويناً تاماً يتناسب وطبيعة الألفاظ في مجال القيم الفنية والنفسية .

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تأبين المجمع اللغوي للمازني :

أقام مجمع فؤاد الأول للغة العربية حفل تأبين للمغفور له الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني يوم الإثنين الماضي بدار الجمعية الجغرافية الملكية . وقد اقتصر الحفل على كلمة الأستاذ عباس محمود العقاد التي رؤى الاكتفاء بها تجنباً للتكرار والإملال ، وقد جاءت فعلا وافية بالغرض ، فقد ألم فيها بحياة الفقيد إلماماً إجمالياً حلل في ثناياه أدبه وبعض صفاته الشخصية التي أثرت في هذا الأدب . فأغنت عن كثير من خطب وقصائد مما يلقى في هذه المناسبة .

استهل الأستاذ العقاد حديثه عن صديقه فقيد الأدب الأستاذ المازني بأنه كان « منذوراً » للأدب بكل ما نفهمه اليوم من معنى هذه الكلمة ، وقد كان الأقدمون إذا قيل لهم عن أحد من الناس إنه منذور لهذا المعبد أو لهذا الحرم ، فهموا من ذلك أنه قائم في خدمة معبده طول حياته ، وأنه لا يحق أن ينحرف عن خدمته باختياره . وقد خيل للمازني أن يطلب مطالب المعيشة حقبة ، فلم يلبث حتى تبين له أنه للأدب وحده ، وأن الأدب يلاحقه أينما ذهب ، فلا يتركه حتى يعيده إلى جواره .

وبعد أن تحدث عن المرحلة التي لحق فيها المازني بمدرسة المعلمين العليا وتخرج فيها ، قال : لقيت المازني في هذه الفترة ، ولقيت الأستاذ عبد الرحمن شكري بعد ذلك ، فمن عجيب التوفيق أن يكون شكري في الأسكندرية ، وأن يكون المازني في القاهرة ، وأن أكون أنا في أسوان ، ثم نلتقي على قدر وعلى اتفاق فيما قرأناه وفيما نحب أن نقرأه ، مع اختلاف في حواشي الموضوعات من غير اختلاف على جوهرها ، وكان المازني أكثرنا ولعاً بالقصة والمقالة الوصفية ، وكنا نلتقي في ناحية واحدة من نواحي القصة على الخصوص ، وهي القصة الروسية ، وأحسب أن القصة الروسية من أقوى المؤثرات في نزعته التي جنح إليها بقوته كلها بعد ذلك فيما نسميه بفلسفة الحياة .

وتحدث العقاد عن نزعة الاستخفاف عند المازني فقال إنها ترجع إلى جملة أسباب بعضها ما كمن في طبعه وأتى بعضها من عراك الحوادث ووحي المطالعة والتفكير . درج صديقنا رحمه الله على حب الدعابة منذ طفولته ، يسرى عن النفس ، ولا يضير أحداً ممن يمسه بتلك الدعابة ... كنا يوماً نركب الترام لأول مرة إلى ظاهر المدينة ، فلما وقف في إحدى محطاته التفت المازني إلى رجل واقف يفرى منظره بالمداكسة — والحق يقال — لحياء وألح في تحيته والترام يتحرك ويبتعد ، والرجل واقف حائر حتى استخار الله وتغلب على شكه ورد التحية ، فما فعلها حتى أومأ إليه صديقنا بلسانه إيماءة ساخرة ولكنها غير جارحة ، وجعل يقول : والله إنه لرجل ظريف ، والله إنه (جتلمان) .

أما جانب التجربة في نزعة المازني إلى الاستخفاف ، فمنه النسيان الذي خامره من إرسال الشعر خاصة بغير صدى يتلقاه عن بعثهم بشعره ، ومنه آلام الصدمات والشدائد التي كان يخفف ثقلها بما استكن في طبيعته من نوازع الاستخفاف .

أما الجانب الذي أوحت به المطالعة فأحسبه راجعاً على الأرجح إلى كتابين من القصص الروسي أحدهما قصة « سانين » لمؤلفها « أرتزيباشف » والآخر قصة الآباء والأبناء لتورجنيف ، وكلاهما تخلق الاستخفاف على الأقل حين قراءتها لمن لاعهد له بالاستخفاف .

ويجب أن نصف هنا هذا الاستخفاف بأصدق صفاته ، لأن المستخف قد يبدى تلك الاكتراث لسببين نقيضين : قد يبديها لقلة إحساسه ، وقد يبديها لفرط إحساسه . وقد كان فرط الإحساس هو الينبوع الذي يصدر عنه استخفاف المازني .

ثم قال الأستاذ العقاد : ولقد كانت ملكات المازني أول ما تناوله باستخفافه ، وكان الشعر أول ما تناوله من تلك الملكات ، ولكن استخفافه بشعره من قبيل استخفافه بكل شيء : فرط إحساس لا قلة إحساس . وإنه لمن الحظ السيء للشرق العربي أنه لم يأخذ من المازني كل ما كان قادراً على أن يعطيه من صفوة ملكاته ، وليست كلها مقصورة على الشعر ونقده ، فقد امتاز بملكة أخرى هي ملكة الترجمة المطبوعة ، أو ما يصح أن نسميه بعبقرية الترجمة ، فقد كان يترجم الكلام في سليقته شعوراً قبل أن يترجمه لفظاً ومعنى . وختم الأستاذ العقاد كلمته الحافلة بتوجيه الخطاب إلى الفقيد الراحل قائلا : ما أنت ممن يحسن إليه الناس بذكره ، وإنما يحسنون إلى أنفسهم كلما ذكروك .

بين الفتى وأستاذه الشيخ :

قال الفتى لأستاذه الشيخ : سمعت أخيراً من الإذاعة المصرية حديثاً لأستاذ من أساتذة الجامعة عن شاعر عباسى فى سلسلة أعلام الأدب العربى ، ولأن الشاعر معروف وله دروس فى المناهج الدرسية وغيرها توقعت أن حديث الأستاذ عنه لابد أن يتضمن جديداً فى شأنه ، ولكنى وجدت الأمر على خلاف ما توقعت ، فإن الأستاذ تحدث عن الشاعر حديثاً مكروراً مقتضباً وشغل أكثر الوقت بأمثلة من شعره .

قال الأستاذ الشيخ : إننى يا بنى قد بلوت هذه الأحاديث فلم أر فيها غناء ، والإذاعة تختار أولئك الأساتذة لمناصبهم ، وهم يستندون إلى هذه المناصب فلا يشعرون بالحاجة إلى كد أذهانهم المترفة لإحداث طريف أو إضافة جديد ، وقد لا يأتون بشىء إن كدوا .

قال الفتى : وماذا ترى لعلاج هذا الأمر ؟

قال الأستاذ الشيخ : العلاج يا بنى يسير جداً ، وهو أن يختار الأشخاص لا المناصب ، ويجب قبل ذلك أن يُختار من يَختار .

كل بيت له راجل :

هذا هو اسم الفلم الذى عرض لأول مرة فى هذا الأسبوع بسينما أوبرا . وتعالج قصة الفلم مشكلة عاطفية عرضت هكذا :

أمينة هانم لا تزال فى شبابها تعيش فى قصر زوجها المتوفى ومعها ابنتها « فاتن » وهى فتاة فى السابعة عشرة من عمرها ، وتبدو الأم فى المنظر الأول حزينة على زوجها الراحل ، فلا تكاد تسمع لحناً معيناً تعزفه ابنتها على البيان حتى تتأثر وتنهاها عنه ، لأنه اللحن الذى كان يعجب به زوجها حين تعزفه ابنته . ولكن رجلا يدخل المنزل فيغير مجرى الحياة فيه وتتحول إليه مشاعر الأم والبنت ، وهو محمود بك راى الذى ندبته دار الآثار ليفحص مكتبة الزوج المتوفى كى تشتريها الدار أو تشترى بعض محتوياتها . ولم نعرف بناء على أى شىء حضر المندوب لهذه المهمة ويبدو من حديث الأم مع ابنتها عند حضوره أنهما لم تطلبا ذلك من دار الآثار . ولا أدرى لماذا لم يكن محمود بك موفداً من دار الكتب بدلا من دار الآثار !

يتبين محمود بك راى فى أثناء فحص الكتب بحضور أمينة هانم ومساعدتها ، أنها سيدة مثقفة ، كما يتأثر بجمالها وشخصيتها ، فيثنى عليها ويبدى

كشكول الأسبوع

□ يستأنف مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، دورته القادمة فى أوائل أكتوبر المقبل ، ولم يعين بعد موعد الجلسة الأولى ؟ ومن الموضوعات التى يبدأ مجلس المجمع بالنظر فيها ، الإعداد لاستقبال العضوين الجديدين الأستاذين أحمد حسن الزيات وإبراهيم مصطفى ، وكذلك النظر فى الترشيح للكراسى التى خلت فى المجمع بوفاة الدكتور شرف بك والأستاذ المازنى والدكتور فيشر .

□ أذاعت وكالة الأنباء العربية من لندن ، أن المختصين ببريطانيا وجامعة لندن واللجنة الثقافية المصرية هناك ، يستعد لاستقبال الدكتور طه حسين بك عند وصوله إلى لندن . والمفهوم أنه سيلقى سلسلة من المحاضرات فى مدرسة اللغات الشرقية

□ أورد الأستاذ الصاوى فى « ما قل ودل » بالأهرام ، البيتين الآتيين ، وهما لإسماعيل صبرى :

يا رب أين ترى تقام جهنم ... للظالمين غداً وللأشرار
لم يبق عفوك فى السموات العلى ... والأرض شبراً خالياً للنار

وعلق عليهما تعليقاً روحياً لطيفاً ، غير أنه ذهب مذهباً معارضاً للمعنى ، إذ تساءل : هل للشاعر أن يطلب الرحمة لكل إنسان ؟ وما الفرق إذن بين البررة والطغاة ؟ وأقول إنما يقصد الشاعر إلى تصوير عفو الله ورحمته التى وسعت كل شىء . أما ضغط الأستاذ الصاوى على هذا الخاطر فهو من قبيل القسوة على الزهرة بدعكها وتمزيق أوراقها .

□ طلب مدير دار الأوبرا الملكية من وزارة المعارف زيادة الإعانة المقررة للموسم الفنى الأجنبى ألف جنيه لكى يتسنى الاتفاق مع مغن إيطالى ليغنى بالأوبرا . والمأمول ألا يوافق معالى مرسى بدر بك على ذلك .

□ طلبت هيئة اليونسكو بباريس إلى وزارة المعارف موافاتها بأسماء الكتب التى ترجمت فى مصر من جميع اللغات الحية إلى اللغة العربية وأسماء المؤلفين والمترجمين لنشرها ضمن الكتاب الذى تعده اليونسكو عن الحركة الثقافية فى الدول الأعضاء بها .

□ ثبت أن الرقص التوقيعى ضرورى لطلبة معهدى التمثيل والموسيقى وطالباتهما ، ولذلك رؤى ألا يطبق عليهم قرار معالى وزير المعارف الخاص بمنع الرقص التوقيعى فى المدارس .

□ قدم بعض خريجى معهد التمثيل الملحقين بالفرقة المصرية ، استقالاتهم من هذه الفرقة لأنها لا تسند إليهم إلا الأدوار التافهة ، ويعتزم باقى زملائهم أن يستقيلوا أيضاً على أن يؤلفوا فرقة خاصة بهم .

□ أرسل الناقد الأدبى الإيطالى بنديتو كروتشى إلى مؤتمر نادى القلم الدولى المنعقد فى البندقية ، رسالة قال فيها : إن مصدر الشعر العبقرية والإلهام ، وليس عملية جمع ترص فيها الكلمات جنباً إلى جنب كما تفعل المدارس الحديثة .

□ انتهت جلسات المؤتمر الثقافى المصرى الذى عقد بلندن ، بعد أن اتخذ عدة قرارات تتناول كثيراً من الإصلاحات الجوهرية فى مختلف نواحى الحياة المصرية ، ومنها أنه ينبغى أن يقوم التعليم على أساس أكثر ديمقراطية مما هو الآن بحيث يكون التعليم الأساسى المجانى حقاً لكل فرد

لها إعجابه ويدعوها إلى حضور محاضرة له بمكتبة الأميرة فريال ، فتلبي ، وتعود إلى ابنتها فاتن التي تسألها عنه باهتمام ، ويتحدثان عنه حديثاً يدل على إعجابهما به بل على حب كل منهما له ، فقد شاهدته فاتن خلال حضوره إلى المنزل وعلقت نظراتها به . وتتطور علاقة محمود بك بأمينة هانم حتى يتكاشفا بحبهما ، وتعده بزواجه بعد زواج فاتن . وتسافر فاتن مع صاحبتها ميمي ووجيه بك أخي ميمي الذي عاد من أمريكا بعد أن درس فن الزراعة وإصلاح الأراضي البور — تسافر معها إلى القرية التي بها أملاك أبيهما ، وفي أثناء ذلك يتودد وجيه بك إلى فاتن ولكنها تقابل تودده بتحفظ يدل على عدم حبها إياه . وتعود فاتن فتشاهد مظاهر الحب بين أمها وبين محمود بك ، فتحزن لذلك . وتتوالى حوادث تتخللها محاولات من جانب فاتن للظفر بحب محمود بك ولكنه يتخلص منها مع التلطف ، ويقبل على أمها كل الإقبال ، حتى يحدث أن تراه البنت يقبل أمها ، فتتأثر من هذا المشهد غاية التأثر ، وتلزم فراشها ؛ وعند حضور أمها إليها تبدى لها استنكارها وتثور عليها ثم يقول لها صوت الضمير الذي ينطق مسموعا : ما هذا يا فاتن ؟ إن أمك لا تزال في شبابها ونضارتها ومن حقها أن تتمتع بالحياة ، ومحمود بك رجل في سن والدك وهو يلائم أمك ، فكيف تحبينه أنت وتحرمينه على أمك ؟ وأنت يلائمك شاب صغير ينتظر إشارة منك ... فتعود إلى عقلها وتستصفح أمها . ثم نرى المشهد الأخير وقد تزوج محمود بك بأمينة هانم وفاتن تقول له : لقد أخطأت في تكييف شعوري نحوك فأنا أحبك حقاً ولكني أحبك كأبي ويظهر الجميع في منظر يتقدم فيه وجيه بك إلى فاتن على أنه عريسها وفجأة ينشأ الحب بينهما ويلتقيان في ضمة وقبلة .

القصة سليمة في أولها وتسلسل حوادثها ، وقد عرضت عرضاً طبيعياً جميلا ، وحددت سمات أبطالها وأشخاصها تحديداً دقيقا ، وصورت المشكلة فيها تصويراً واضحاً . ولكن ما كادت الوقائع تتقدم نحو الحل حتى ظهرت الأهوجة فهدمت البناء ، وقصم الحل ظهر القصة .

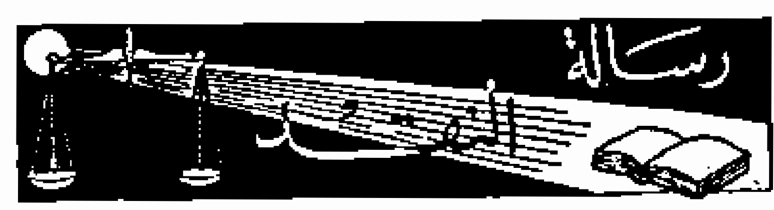
كيف يمكن القضاء على عاطفة أو تحويلها ، وإنشاء عاطفة أخرى مكانها ، في لحظة واحدة دون تمهيد طويل أو قصير ؟ هل يكفي صوت ينطق بتلك الجمل لكي تغمض الفتاة عينيها وتفتحها فترى الحبيب أباً والفتى الجامد محبوبا ؟ لقد كان يمكن أن يكون وجيه بك شابا جذابا مغريا بالحب على أن يؤخر اتصاله بفاتن في الوقت الذي يمهد فيه لتحولها عن حب محمود بك . ولكن الفلم يعرض هذا الشاب في صورة جامدة كئيبة ثم يفرضه في النهاية محبوبا لفتاة رائعة تحب أو كانت تحب غيره !

وكان لوحيد بك مشروع لإصلاح الأراضي البور في القرية ، لم يأخذ حقه في الإبراز ، فقد قالوا لنا في الآخر إنه نفذ ونجح ولم نر علامة لذلك غير بضعة أشجار يغني بينهما عبد العزيز محمود . والحق أنه أجاد في غنائه وموسيقاه . وفي الفلم ظاهرة تتكرر في معظم الأفلام المصرية وهي إظهار الفلاحين أذلاء خاشعين لسلطان السيد صاحب الضيعة ، وهي ظاهرة موجودة في بعض الجهات ولكن تكررها في الأفلام يدل على أن ذلك هو طابع الحياة في القرى المصرية ، وليس الأمر كذلك إلا في القليل .

وقد أخرج الفلم محمد كامل مرسي ووضع قصته مجدي فريد ، وهو فلم نظيف ، ومناظره متسقة ، وحواره جيد ، والقصة لا بأس بها بصرف النظر من تلك المآخذ ، والتمثيل ممتاز ، فقد أجادت أمينة رزق (أمينة هانم) في دور المرأة المحترمة المحبة ، وكذلك فاتن حمامة (الآنسة فاتن) وخاصة في أثناء مصاحبتها لوجيه بك فقد مثلت دور الفتاة (الاسبور) المترفعة المتحفظة أحسن تمثيل ، وكانت طريفة عندما كانت تناقش نفسها في خلوتها : أيها ، هي أو أمها ، أحق بحب محمود بك . ومثل محمود المليجي دور (محمود بك راتب) وهو شخصية محبوبة في الرواية ، وكان الشاهدون يتوقعون أن يكون شريراً لكثرة ما شاهدوا المليجي في تمثيل الأشرار . ولكنه استطاع رغم ذلك — أن يقنع الجمهور بأنه رجل طيب ...

أما الوجه الجديد وجيه عزت الذي قام بدور (وجيه بك) فوضعه في الفلم اقتضاه أن يظهر في جد (زيادة على اللزوم) وهو يجيد في مثل هذا الدور ، على ألا ينتهي بحب فتاة مثل فاتن حمامه .

عباس خضر



ديوان الوزير
محمد بن عبد الملك الزيات

نشره وحققه الدكتور جميل سعيد

بقلم الأستاذ بدوي أحمد طبانه

يخيل لكثير من الناس أن إخراج كتاب أو نشره عمل يسير ، يستطيع أن ينهض به كل من يستطيع أن ينسخ ، ثم يستطيع بعد ذلك أن يقدم ما نسخه إلى المطبعة . هكذا يخيل لأكثر الناس ، وكذلك كان يخيل إلىّ أيضاً قبل أن أبتلي بهذا اللون من الجهد العلمي ، حتى إذا كان ذلك تبين لي أن جهداً يبذل في نشر كتاب وتحقيقه دونه بكثير كل جهد يبذل في التأليف وإن كان عظيما ؛ لأن المؤلف صاحب الموضوع الذي يؤلفه ، اختمرت في رأسه فكرته ، وأعد له ما يعينه من المراجع . أما الناشر فما أكثر ما يصادف من عقبات لا يستطيع اجتيازها إلا الكفء الجلد ، وناهيك بعقبات الترقيق والخط وما يقع فيه النساخ من أخطاء التصحيف والتحريف..

وفي المكتبة العربية نفائس لا يحصيها إلا الله ، ولكنها مطمورة في زوايا النسيان ، لاتصل إليها الأيدي ، ولاينتفع الناس بما تحوي من علم وفن ، حتى يتاح لهذه النفائس من ذوي الغيرة من يأخذ بيدها فينفض عنها غبار السنين ، ويعم الانتفاع بها .

ونحن في نهضتنا الحاضرة محتاجون أشد الحاجة إلى بعث هذه الكنوز من مدافنها ؛ فإن في هذا البعث خدمة قومية إلى ما يؤديه من خدمات علمية أو فنية ، فإحياؤها فرض ليس لقادر عليه أن يكف عنه .

ولهذا لا يسعنا إلا أن نرحب بديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، وإلا أن نشيد بفضل ناشره العالم الأديب الدكتور جميل سعيد أحد أساتذة الأدب في دار المعلمين العالية في بغداد ، الذي أضاف إلى الأدب ثروة فنية تعين الباحثين ومؤرخي الأدب بنشره هذا الديوان ، فعامة العلماء والأدباء يعرفون ابن الزيات كاتبا أكثر مما يعرفونه شاعراً ، وهم يعرفون كيف سما الأدب بابن الزيات حتى كان الوزير والمصرّف للأمور في عصر من أزهى عصور الدولة العباسية ، ولم يكن له من الحسب أو الجاه ما يرشحه لهذا المنصب الخطير ، وهو زيات ابن زيات ، سوى الموهبة الأدبية .

وقد قدّم الدكتور جميل الديوان بترجمة موجزة لحياة الرجل ووصف النسخة التي نقل عنها ، ثم ذكر في مقدمته عدة آراء في ابن الزيات وشاعريته استخلصها من شعره ، وأكثر هذه الآراء وفق فيه توفيقاً عظيما يشهد له بالأصالة والبراعة والحاسة الفنية المرهفة وكان سر هذا التوفيق أن صاحبه كان صادقاً ، وكان ميزاناً عدلاً لنفسه ، ولصاحب الديوان الذي نشره ، فلم يفرط في تقريظه والتنويه به ؛ شأن كثير من الذين يعتدون بالموضوع الذي يدرسونه أو الشخصية التي يحاولون تحليلها ...

ومن أمثلة الإنصاف قوله عن الشعر الذي عثر عليه في ديوان ابن الزيات : إنه (لا يمثل حياة ابن الزيات كاملة . وربما كان له شعر لم يجمعه جامعه[1]) .

ثم تراه يقول : (إن أشعاره التي في ديوانه هذا لا تراها تضعه في مصاف الشعراء المطبوعين ، وتدلج المجاء بينه وبين علي ابن جبلة ، والقارئ حين يقرؤه يجد الفرق واضحاً بين ابن الزيات وبين الشاعر المطبوع علي بن جبلة[2]) .

ومثل هذه الآراء سديد موفق ، ومبعث السداد والتوفيق — كما قدمنا — أن صاحبها كان صادقاً في قوله صدقه في إحساسه الفني .

ولكننا على الرغم من إعجابنا بهذه الآراء وتقديرنا للجهود الفنية التي بذلت في نشر الديوان ، لا نتفق مع الأستاذ الناشر في فهم معنى ما أورده ابن رشيق في العمدة نقلا من الجاحظ في

(١) المقدمة د ب »
(٢) » » د »

قوله : « طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات[1] » .

فقد فهم الدكتور جبل من هذه العبارة أن الجاحظ يفضل هذين وأضرابهما على سائر الشعراء تفضيلا مطلقاً ، وقد بنى على هذا الفهم مناقشة هذا الرأي في قوله : (وبعد ، أفكان ابن الزيات من المكانة الشعرية بالمحل الذي ذكره به الجاحظ والصاحب وابن رشيق[2] .

إننا لا نستطيع أن نفهم هذا الفهم الذي تبادر إلى ذهن الدكتور جبل من هذه العبارة ، فإن سياق الكلام يدل على أن البحث في فهم الشعر ، وتذوقه ، ونقده ، ومعرفة ما يسمو به وما يتضع .

يريد الجاحظ أن يقول : إنه لا يفهم الأدب — ومنه الشعر — إلا الأدباء ، وأما هؤلاء الأعلام الذين رددوا أسماءهم فهم علماء كل في ناحيته التي يجيدها : فالأصمعي يحذق معرفة الغريب من ألفاظه اللغوية ، والأخفش رجل نحوي لا يعرف إلا الإعراب ، وأبو عبيدة قد تخصص في معرفة السير وأيام العرب وأنسابهم . أما المتذوقون للشعر القادرون على نقده من الناحية الفنية فهم طائفة الأدباء الكتاب .

ودليل آخر يؤيد ما نذهب إليه في فهم هذه العبارة هو قول الجاحظ في أولها : (طلبت علم الشعر ..) والجاحظ عالم أديب يعني ما يقول ، ويستطيع أن يفرق بين الشاعر وبين العالم بالشعر

ولو أراد الجاحظ الموازنة بين الشعراء لم يفته ، وهو الخبير ، أن يذكر أسماء فحول الشعراء لا أساطين العلماء .

ودليل ثالث : هو أن الباب الذي عقده ابن رشيق قد جعل له عنواناً (باب في التصرف ونقد الشعر[3]) ونحن مضطرون لأن نورد من هذا الباب ما يؤيد قولنا .

حكى الصاحب بن عباد في صدر رسالة صنعها على أبي الطيب ، قال : حدثني محمد بن يوسف الحمادي ، قال : حضرت بمجلس عبد الله بن طاهر وقد حضره البحتري فقال : يا أبا عبادة أمسلم أشعر أم أبو نواس ، فقال : بل أبو نواس لأنه يتصرف في كل طريق ويبرع في كل مذهب إن شاء جد وإن شاء هزل ، ومسلم يلزم طريقاً واحداً لا يتعداه ، ويتحقق بمذهب لا يتخطاه . فقال له عبيد الله : إن أحمد بن يحيى ثعلبا لا يوافقك على هذا ، فقال : أيها الأمير ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله ، فإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه ، فقال : ورِيَتْ بك زنادي يا أبا عبادة ! إن حكمك في عميك أبي نواس ومسلم ، وافق حكم أبي نواس في عميه : جرير والفرزدق ؛ فإنه سئل عنهما ، ففضل جريراً ، فقيل : إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا ، فقال ليس هذا من علم أبي عبيدة فإنما يعرفه من دفع إلى مضايق الشعر !

والخلاصة أن الجاحظ والصاحب وابن رشيق لم يفضلوا ابن الزيات وابن وهب وغيرهما من الكتاب على الشعراء في إحكام صنعة الشعر ، وإنما فضلوهم على العلماء في نقد الشعر .

وإن أردت المزيد فاقرأ قول ابن رشيق في باب آخر أسماه : (باب في أشعار الكتاب) قال : « وليس يلزم الكاتب أن يجاري الشاعر في إحكام صنعة الشعر لرغبة الكتاب في حلاوة الألفاظ وطيرانها ، وقلة الكلفة ، والإتيان بما يخف على النفس منها . وأيضاً فإن أكثر أشعارهم إنما يأتي تظرفاً لا عن رغبة ولا رهبة فهم مطلقون مخلون في شهواتهم ، مسامحون في مذهبهم إذ كانوا يصنعون الشعر تخيراً واستظرافاً[1] » .

ولنا بعد هذه الملاحظة ملاحظة أخرى تلك هي مسألة القوافي وترتيبها في الديوان ، فقد سلك في بعضها مسلكا غير المتفق عليه عند العروضيين وعلماء القافية ، ووضع بعضها في غير موضعه ، وقد يعتذر عنه بأنه نقل ألقاب القوافي وترتيبها كما وردت في الأصل الذي اعتمد عليه ، ونقل منه .

وهذا الخطأ في أول الديوان وفي أواخره . من ذلك أنه جعل الشعر الذي أوله :

من يكن رام حاجة بعدت عنـ ـه وأعيت عليه كل العياء

(١) المقدمة « ا » والعمدة : ج ٢ ص ٨٤ مطبعة السعادة ١٩٠٧

(٢) المقدمة « و »

(٣) العمدة : ج ٢ ص ٨٣

(١) العمدة ج ٢ ص ٨٨

والذى أوله :

جمــع الله للخليفة ما كا ن حواه لسائر الخلفاء

من قافية الألف ، وهى ليست كذلك ، وإنما القافية الهمزة والقصائد تنسب إلى الحرف الذى بنيت عليه ، وهو الروى ، فيقال قصيدة دالية أو رائية أو ميمية وهكذا إذا كان الحرف الذى بنيت عليه دالا أو راء مثلا ، أما الألف هنا فهى ردف والردف هو حرف مد قبل الروىّ .

ومن هذا أن فى الديوان خلطاً عجيباً فيما سماه قافية الهاء فقد جعل منها كل شعر آخره هاء ، وإن لم تكن الهاء روياً ، فنى :

ما أعجب الحب فى مذاهبه ما ينقضى القول فى عجائبه

القافية الباء لا الهاء ، وقوله :

وعاتب عابنى بشـــيب لم يقد لما ألمّ رقتـــه

قافيتها التاء لا الهاء وفى :

ظـالم ما علمته معتد لا عدمتــــه

كذلك ، وفى :

يا يمن يوى وغده وعن ما بعد غده

القافية الدال لا الهاء . والقصيدة التى أولها :

يا ذا الذى لا أهجره وعلى القلى لا أغـــدره

قافيتها الراء لا الهاء ، والتى أولها :

أبكى الفتى بعد الخليط مربعه وكاد وجد القلب منه بصرعه

قافيتها العين ، ومثلها :

قولا لأنف وتزعه أخطأكا وزن سبعه

والقصيدة التى كتبها إلى الحسين بن المرزبان النحاس :

فديتك إن انبساطى إليـ ـك على بأخلاقك الطاهرة

والتى أولها :

ألا من عذير النفس ممن يلومها على حبها جهلا ألا من عذيرها

كلتاهما هائية القافية . ومن قافية الفاء قوله :

من الصين طرفه ومن الظبى ظرفه

وقوله :

قل لعيسى أنف أنفه أنفه ضعف لأنفه

وقوله :

إن الخلافة أصبحت سراؤها بجلوبة وشرورها مصروفه

ومن قافية اللام :

أخنى علىّ الدهر كلكله وعدا (على) عيشى فبدله

ومن قافية النون :

نزلت بالخائنين سنه سنة للناس محنــة

وقوله :

ما للغوانى من رأين برأسه بقعاً ملأن وساءه وشنينه

ومن قافية الميم :

سقيا لنضر الوجه بسّامه مهذب الوالد قمامـــه

ومن قافية الياء :

وللنفوس وإن كانت على وجل من المنية آمال تقويها

وقوله .

ما باله وابنه لم يزوجا عربيـــه

وقوله :

الآن قام على بغداد ناعيها فليبكها لخراب الدهر باكيها

وقوله :

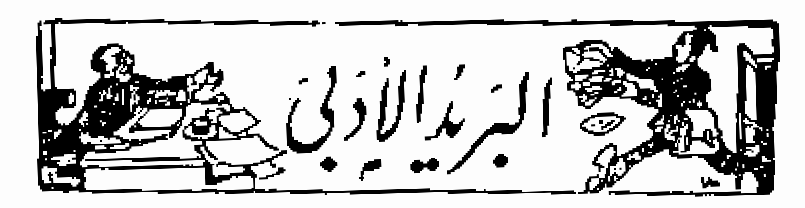
إنك منى بحيث يطرد النا ظر من تحت ماء دمعتيـــه

والهاء فى كل أولئك القصائد التى ذكرنا مطالعها إنما هى وصل سمى بذلك لوصله بالروى ، والوصل كما عرفه علماء القافية حرف لين ناشئ من إشباع حركة الروى أو هاء تليه .

واعتقد أن مثل هذا الأمر لا يخفى على فطنة الأستاذ الصديق الأديب ، واعتقد أيضاً أن المجلة وحدها هى التى فوتت عليه الإشارة إلى الأخطاء التى وقع فيها جامع الديوان فى الشروح والتعاليق التى ذيل بها على شعر ابن الزيات .

وبعد ، فهذه هنات هينات ، لا تغض بحال من قيمة العمل الأدبى الجليل الذى اضطلع به الأستاذ الأديب .

بدوى أحمد طبانة



برلمان الأمم العربية :

يرى الأستاذ السيد على الشوربجي فى العدد الأخير من الرسالة أن فكرة برلمان الأمم العربية خيالية ومستحيلة . أما أنا فلم أخترع الفكرة بل اقتبست نظرية موجودة الآن بالفعل . وما من عملية إلا كانت فى الأصل نظرية .

ففكرة الحكم الجمهورى نشأت من قديم الزمان فى ذهن الإنسان وتصورها أفلاطون وجربها اليونانيون ففشلت ومازالت تجرب حتى تحققت ، وصار الآن معظم أمم العالم جمهوريات ، ولا ينقضى قرن حتى يعم الحكم الجمهورى العالم كله بلا استثناء، وأخيراً يصبح كله جمهورية واحدة لأمم متحدة .

الولايات (المتحدة) الأمريكية لم تكن متحدة تحت الحكم البريطاني ولكن لما تحررت من هذا الحكم اتحدت فى ١٣ ولاية والآن صارت ٥١ ولاية . وقس عليها سويسرا وكندا .

وما قول الأستاذ فى برلمان إحدى عشر دولة أوربية انعقد فى الشهر الماضي؟ — فهل يرى الآن أن ما استحال فى نظره صار ممكناً — وهل يتعذر عليه تصوره كما يتعذر عليه تصور برلمان دول عربية ؟

أنا لم أقترح اتحاداً تاماً كاتحاد الولايات الأمريكية ، وإنما اقترحت اتحاداً عسكرياً حربياً فقط لا نجاة بدونه للدول العربية من غارات إسرائيل التى يهددنا بها إسرائيل من اليوم . وكل آت قريب . وإذا كنت قد اقترحت أن يتولى هذا البرلمان سياسة الدول العربية الخارجية فلأنى أخاف من تدخل الدول الأجنبية التى كان ولا يزال سبب هزيمتنا الفاضحة فى حرب فلسطين

فإذا كانت سياساتنا الخارجية يتعذر عليها الخضوع لهذا البرلمان فى بادئ الأمر فلا بأس فى أن تبقى كل دولة مستقلة فيها تحت شرط أن لا تسمح للدول الأجنبية أن تمد أحابيلها إلى هذا البرلمان وتفرقكه .

ثم إن الأستاذ لا يمكنه أن يتصور الدول العربية تتنازل من سلطتها الدفاعية لبرلمان الجامعة . وأنا أقول له إن الدول العربية لا تقوم لها قائمة لدى الخطر الصهيونى المقبل إلا إذا تنازلت عن سلطتها الدفاعية لبرلمان يمثلها جميعاً، كما أن الولايات الأمريكية تنازلت عن سلطتها الدفاعية لوزارة الدفاع فى وشنطون . لا تستطيع أن تتصور هذا التنازل لأنك مأخوذ بحكم الحاضر. ولكن حكم المستقبل يسهل لك هذا التصور. وإذا أمكنك أن تتصور الخطر الهائل الذى يهددنا به وزير إسرائيل بن غريون أمكنك أن تتصور ضرورة اتحاد الدول العربية فى برلمان حربى دفاعى وإلا فاليهود ينفذون ما يقولون . ولا يردهم عن التنفيذ إلا قيام هذا البرلمان . وهم يقولون بصراحة إن ما يفعله العرب فى عام نحن نفعله فى يوم . فإذا لم نفعل نحن فى يوم ما يفعله اليهود فى عام تندونا قبل أن نتشاءم . فأرجو منك أن توسع دائرة تصورك حتى تشمل هذه الحقائق ولا تكن مثبطاً للعزائم .

ثم إن الأستاذ لا يمكنه أن يتخيل الدول العربية تستطيع أن تدفع من ميزانياتها ذلك المبلغ الضخم الذى لا يقل عن مائتى مليون جنيه (والمقترح هو مائة مليون أولا تزاد سنة بعد سنة حسب اللزوم) . ولكن إذا لم تدفع الدول العربية هذا المبلغ تستدفعه رغم أنوفها وتدفع أضعافه يوم يستوى الأمر فى دولة إسرائيل وتصبح سيدة العرب ومالكة رقابهم وبترولهم ووو الخ

وإذا كانت مصر قد أنفقت فى نصف سنة فى حرب فلسطين أكثر من ستين أو سبعين مليون جنيه أفلا تستطيع الدول العربية كلها أن تجمع مائة مليون للدفاع عن استقلالها واتقاء عبوديتها لإسرائيل ؟

تركيا تعد ١٤ مليوناً من النفوس وميزانية دفاعها تستغرق نصف ميزانيتها لأنها مجندة مليون جندى ولأنها رأت أنها إذا لم تفعل هكذا وقعت بين براثن روسيا وهى على مرمى حجر منها .

يا صاحبي لما وقعت الحرب الكبرى الأخيرة عبأت إنجلترا كل رجل وامرأة للعمل للحرب ورصدت كل إيراد الشعب الإنجليزى للنفقة . ولولا هذا لوقعت تحت سنابك خيل الألمان . فهذا المبلغ المائة مليون أو المائتان التى اقترحته ليس ضخماً يا عزيزى بل هو قطرة من بحر النفقات الحربية . فكانت إنجلترا تنفق فى الحرب كل يوم ١٤ مليوناً من الجنيهات وأمريكا تنفق أكثر من ستين مليوناً منها .

إنهــا لمبالغ ضخمة حقاً كانت تذهب إلى دولة الشيطان .

فلا تتعجب يا عزيزى . ولعلك لم تر بعد عبر هذا الدهر فلا تستطيع أن تتصور الآتى منها . وماذا تفعل والجنس البشرى قد بطر بل جن ، فهو من باذخ مدنيته يقذف بنفسه إلى وادى الهلاك — المدنية تنتحر —

إن ما تراه يا سيدى مستحيلاً يجب أن يكون واقعاً . وإذا بقينا نتخيل الواجبات إلى أمامنا مستحيلات واليهود يتصورونها ممكنات فلا ريب أننا فاقدون استقلالنا ودوننا وأخيراً حياتنا .

وأخيراً أقول لك إذا لم تعمل الأمم العربية كلها لهذه الغاية وتثنى هذا البرنامج وتسلمه كل السلطة الحربية وتزيل من أمامه كل الصعوبات الداخلية والأجنبية فلا حياة لها . فلتؤبن نفسها منذ اليوم وتبكى حظها .

لو ذكرت لى من أسباب استحالة هذا المشروع الخيانات العربية التى شهدناها فى هذه الأيام وما نكبت به الجامعة العربية من خيانات وأشباه خيانات لصدقتك وقلت هذا المشروع مستحيل . نعم بهذه الخيانات يستحيل هذا المشروع . ولكن هل فقد الوجدان العربى قوة التقدير لإمكانيات المستقبل ؟ هنا ما يحيرنى ... والسلام عليك .

٢ ش الروضة الجديدة القاهرة نمرود الحرار

ابنة الله وعين الله :

فى البريد الأدبى للعدد ٨٤٣ من « الرسالة » كلمة من الأستاذ دسوقى ابراهيم حنفى يسألنى فيها جلاء ما غمض عليه فى العبارتين الواردتين فى مقال لى فى مناجاة الشمس وهما « يا ابنة الله » و « يا عين الله » .

إن للنجوى لغتها التى تختلف عن لغة الناس ، وشرودها الذى يتطاير من الوجد ، وضبابها الذى هو سر قوتها وجمالها ، وليس من السهل أن نهبط بها من سمائها إلى حيث نخضعها للمقاييس والموازين التى نعرفها ونضعها على مائدة التشريح نقطع ونحلل ما شاء التقطيع والتحليل ، فنفقدها الكثير من قوتها وسحرها .

إن لها رعشة لها سرورها التى قد لا تجد لها إطاراً توحى بها أطياف وأطياف لا نعرف من أمرها إلا أنها مرت بنا وأملت ما شاء لها خيالها أن تملى ...

كنت مأخوذاً بالشمس وسلطانها يوم ناجيتها ، وأصبت بدوار الإعجاب ، وتهاوت على الصور أشكالا وألوانا ، وبينها الصورتان اللتان حملهما إلى السائل مستوضحاً ... فما ذا أقول له ؟ وكيف أوضح هذا الذى يراه غامضاً ؟ — كل ما لدى الآن للايضاح أن الكائنات — والشمس منها — تنبثق عن الخالق فهى مواليده . ولقد تخيل الله الخليقة قبل خلقها فكانت الشمس واحدة من بنات خياله . أما أن الشمس (عين الله) ، فإن لله عيوناً والشموس منها ترعى الوجود . وهل الرعاية إلا الرفق والرحمة يتجليان فى النور والشعاع . إن الله هو النور لا نرى غير النور ، فكيف لا تكون الشمس عين الله ؟ !

راجى الراعى

اللغة فى الإذاعة :

إن الذياع منصاح فصاح يرسل على الأثير الصوت مبيناً نغماته ونبراته فكان لا بد من الاتئاد قبل أن يتورد اللسان الثقل ، وتراوده الخطاة ، فيتزلق إلى الجهالة ! ونحن لا نتجنى على أحد حينما نشير إلى عدم العناية بضبط الألفاظ ، فى إفرادها ، وإغفال قواعد الإعراب ، وبخاصة إذا تنكب الجادة فيها « الخاصة » ! وما دامت مصر اللسان الناطق بالعربية الخالصة وجب أن تضرب المثل الأعلى فى المحافظة على حفاظها !

وإنما ليعجبنا صنيع مذيعى الإذاعات العربية فى الأقطار الشقيقة لشدة تمسكهم باللفظ الموغل فى عربيته ، من دون ارتضاخه بعجمة مدخولة ؛ فقد سمعنا مذيعاً يقول : لقد تقدم الجيش فى منطقه كذا بكسر الميم ، بينما يصر المصرى على فتح الميم وكسر الطاء بقدرة قادرة ! ...

ولا يغيب عنا قول أحدهم : نذيع (آذان) الظهر وخطبة الخطبة ؛ فيبدل الأسماع مكان الإسماع ! ويحيل الإعلام إلى السامع !

أما لغة المحاضرات ؛ فبينها وبين الإبانة السليمة عداء مستحكم ، ما عدا الطبقة الممتازة من أدباء وعلماء العربية ؛ فما مرد هذه الظاهرة الأليمة ؟ لا نعتقد أن المحاضرين على غير علم بالضوابط اللفظية والإعرابية ، فالمفروض فيهم الثقافة التى تخول لهم على أقل تقدير إجادة ما يقرأون ، لكنا نرد هذا التقصير إلى عدم العناية ، أو إغفال الذهن حين القراءة ، أو إغفال أن هناك مستمعين إلى خطايا الأخطاء !

ومن المؤسى تفصح المذيع أو المحاضر إذا أراد التعبير بلغة ذات عجمة ، فإنه يرق الحروف ، ويدققها ، ويخشى أن تفلت من لسانه فلتة تكون سبة ، اعتقاداً منه أن التزامه مخارج الحروف يشير إلى سمة ثقافته !

إن اللغة الإذاعية يجب أن تنأى عن المؤاخذة ، فالأداء الصحيح سبيل الإيضاح ، وليس هناك ما يضير المذيع أو المحاضر في معاودة قراءة محاضرته أو إذاعته ، وكل من في الإذاعة مثقف ثقافة عالية ترتفع به عن التفاهة والركة والأغلوطة ! ...

وبعد ؛ فليس لنا مطمع في الإذاعة حتى نذيع فيها التقصير ، وإنما نعمل على التنويه في مقام التنبيه حتى تصل إلى مرتبة الكمال .

(بورسعيد) أحمد عبد اللطيف بدر

إلى الدكتور محمد شهاب (باريس) :

قرأت كتابك يا صديقي رغم مشاغلي المتعددة ، ولكني أرجأت الكتابة عنه ريثما أعود من سفري ليتيسر لي الاستيثاق من بعض المراجع التي يتعذر عليها الحصول هنا .

ولي بعض ملاحظات أرجو أن أرسلها في خطاب خاص بعد أن توضح لي عنوانك بالكامل .

ولا يفوتني أن أشكر لكم هذه الأريحية الكريمة التي أبديتموها نحوي ، وقد سرني أن يكون لمقالاتي في الرسالة خلال شهر مايو ويونيه من هذا العام عن (قضايا الشباب بين العلم والفلسفة) ، ذلك الأثر الجيد في نفوس إخواننا الشرقيين . وما ذكرت من تغير عقيدة بعضهم وتبدل نظرتهم لتلك الفلسفة المنحرفة المتطرفة ... مما أثار صديقك الفرنسي وزملاءه لرغبة القيام بترجمتها و « العمل على نشرها في فرنسا كمثال لما يمكن أن تستقبل به الفلسفات (الحديثة) في الشرق العربي عموماً والإسلام على الخصوص ... » الخ

ولسنا نمانع في ذلك يا صديقي – بل إنا نرحب به – مادمت تعرض علينا تلك الترجمات قبل نشرها أولا بأول .

أما سبب ذلك التركيز الذي رأيتم في مقالاتي تلك فهو ضيق المقام ثم الظروف التي كتبت فيها ذلك البحث ؛ فقد لبيت به دعوة من كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول وجهتها إلى جماعة الأبحاث النفسية بها « لإلقاء محاضرة عن الشك كإحدى المراحل النفسية » وعقب إلقاء المحاضرة في يوم ٤ مايو الماضي – قام بعض أساتذة كلية الآداب من المتعصبين لسارتر وأثار جدالاً رأينا معه نشر البحث – من غير ما زيادة أو نقصان – لتعم فائدته من جهة وليكون المجال أرحب للأخذ والرد فيه من جهة أخرى ؛ ولم نر أحق بهذا وأجدر من حبيبتنا (الرسالة) منبر الشرق العالي فآثرناها بتلك المقالات التي انتظمت محاضرتنا المذكورة .

وأظنك معي الآن في أن المجال لم يكن مجال شرح وتفصيل بقدرما كان مجال إيجاز واستيعاب ، فإن هذا الموضوع من السعة والخطورة بحيث تضيق به المجلات فضلا عن محاضرة أو بضع مقالات . إلا أني قد راعيت ذلك وتلافيته في كتابي (الاتجاهات الدينية في الفلسفة الحديثة) الذي هو الجزء الأول منه للطبع في أقرب وقت مستطاع .

هذا وأرجو أن يمنني الله سبحانه على تحقيق رغبتكم وسائر الأصدقاء بمواصلة الكتابة في (الرسالة) من هذا الموضوع عقب عودتي إلى مصر إن شاء الله وبقيت في العمر بقية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فلنسيه – إسبانيا ابراهيم البطراوي

دراسة الأدب المعاصر :

هل هناك برنامج محدد الأهداف موفق الخطوات لدراسة الأدب المعاصر ؟ سؤال خطير يستأهل النظر والاهتمام . وخطورته تنجم من المشاكل التي ستثار في الكليات التي تعنى بدراسة الأدب العربي . فإن تلك الكليات لم تعن بدراسته في وقت من الأوقات ، وقد مضى زمن كان حرياً بأن نرى الأدب المعاصر تد أخذ حيزه في مناهج تلك الكليات – ويرى كثير من الأساتذة أن هذه الدراسة لابد منها لأسباب : فأدباؤنا المعاصرون حريون بأن تدرس آثارهم الخالدة ؛ ذلك لأن عصرنا هذا يعتبر من أزهى عصور الأدب العربي ، وهم – بحق – دعامة النهضة الأدبية الحديثة . وأتقدم في هذا المقام باقتراح وهو أن تنشأ شعبة خاصة لدراسة الأدب المعاصر في كل كلية من الكليات الثلاث التي تعنى بدراسة الأدب العربي -- اللغة العربية – دار العلوم – الآداب – وأرى فوق ذلك أن تكون الدراسة موحدة في تلك الشعب . وجدير بعمداء تلك الكليات أن يدعوا الأساتذة الأعلام إلى إلقاء المحاضرات ليكون الطلبة على اتصال بالحركة الفكرية المعاصرة .

(دميرة) على منصور عبد الرازق



يوم وليـــلة

تأليف الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

بقلم الأستاذ صبحي ابراهيم الصالح

ليس الطريف في هذا الكتاب عنوانه الشوق، وإنما الطريف فيه حقاً أسلوبه القصصي التاريخي الممتع الذي وصف به مؤلفه الفاضل الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل(*) خلافة ابن المعتز التي ضرب بها المثل في القصر.

وأحسب أن لو كان مؤلف هذه القصة التاريخية كاتباً معروفاً أو أديباً مشهوراً لأسرع النقاد يمدحونه ويتملقونه لتقترن أسماؤهم باسمه، أو يلتمسون عثراته ويخالفونه ليشتهروا بذمه؛ ولكن كتاباً ككتاب (يوم وليلة) وقد وضعه أديب غير مشهور، لا يحظى من تحليل النقاد بحظ وفير!

على أن دار العلم للملايين في بيروت كانت أكثر تقديراً للكاتب الفاضل، إذ تكفلت بكتابه فطبعته آنق طباعة وألطفها، على أصقل ورق وأنصعه، كما نشرت له منذ عام بحثاً طريفاً جامعاً حول (النكتة المصرية) كان له صدى في الأوساط الأدبية اللبنانية. وأريد اليوم لأكون أحد المعترفين بفضل هذا الأستاذ فأظهر الناس على أدبه الرفيع، وأطلعهم على علمه الغزير، وإن كنت لم أجلس إليه في ناد، ولم أقابله في زيارة: فإن قلم الكاتب لسان عقله وتفكيره، ووحي قلبه وشعوره.

***

لا ريب عندي في أن هذا الكتاب الذي يمكنك أن تقرأه في جلسة واحدة وأنت مستمتع بجمال عرضه، وجزالة أسلوبه، ورصانة تعبيره، قد كلف الأستاذ عبد العزيز عناء طويلاً وجهداً ثقيلاً، فلقد حاولت من قبله أن أعلم شيئاً يغني عن خلافة ابن المعتز، ففتشت بطون الكتب كما فتش، واستقصيت في الطلب كما استقصى فلم أجد — كما قال الأستاذ في مقدمته — «كتاباً واحداً ولا كتابين ولا ثلاثة ولا عشرة تسعدني بما عنيت» وأدركتني الملالة فانصرفت عن هذا الموضوع إلى سواه. أما الأستاذ فلم يعرف الضجر، وإنما زاد في الاستطلاع وما انفك يزيد حتى أربى على الستين كتاباً، ثم تتبع الأخبار المبثوثة في طوايا هذه الكتب فإذا هي متفرقة متمزقة كأنها الأشلاء المبعثرة بأطراف الصحراء!

وإني لواثق أنه ما كان لقصة ابن المعتز أن تستحكم حلقاتها لولا أن الأستاذ قد قام فتنقل فصلاً «بين طوائف شتى من كتب التاريخ والطبقات والأدب والفقه والمُلَح والنوادر» فاستطاع بهذا التنقل الفكري المرهق أن يريح قارئ قصته، إذ أوضح له خفيات الأمور، وتطوع بنفض الغبار عن كثير من الحقائق، حتى ليظن أولئك الذين تعودوا أن يقرأوا غير محتكمين إلى العقل والمنطق أن ليس في الكتاب عناء البحث ولا وعورة المسلك، لاتخاذ الكاتب طريق القصص الذي يبدو سهلاً لمن يراه، ولا يعرف صعوبته إلا من عاناه.

ومن المعروف لدى المشتغلين بأدب القصة ونقدها أن الأسلوب القصصي حين يعتمد على الخيال الخلاق وحده في تأليف الحوادث وربطها، أو حين يعتمد على التاريخ الصادق وحده في رواية الأخبار وجمعها، لا يعترضه من العقبات ما يعترض القصاص الذي لا غنى له من الجمع في آن واحد بين ما ارتضاه من خيال وما صدقه من تاريخ. وأكثر ما يكون ذلك في القصص التاريخية التي تدور حول فتنة حمراء لعب المؤرخون فيها دور الجبناء، خوفاً من سطوة القادر ونفوذ الحاكم وعنت الجبار.

وخلافة ابن المعتز التي تقرأ وصفها في كتاب (يوم وليلة) كانت فتنة اندلعت ألسنتها بسرعة وسكنت فضها بسرعة، لكنها — رغم استحالة جمرها إلى رماد — أخافت كثيرين من التصدي لأخطارها لئلا يحترقوا بنارها، ولتجدن أكثر الذين عاشوا في هذه الفتنة وبلوا أخبارها قد أفضوا بذات أنفسهم إلى معاصريهم

(*) المدرس الأول بوزارة المعارف المصرية، ومندوبها للتدريس بالكلية العاملية في بيروت